كربلاء في الشّعر العربي الحديث

Karbala in Modern Arabic Poetry

د. خالد سنداوي
أستاذ
أكاديميّة القاسمي، باقة الغربيّة- فلسطين

Dr. Khalid Sindawi
Professor
Al-Qasimi Academy, Western Baqa - Palestine

Sindawe@017.net.il

تاريخ الاستلام ٢٠٢٢/٢/١٣ تاريخ القبول ٢٠٢٢/٣/٢٨

الكلمات المفتاحية: كربلاء- الحسين بن علي- الشعر المعاصر- مقتل الحسين- مراثي الحسين- الشهيد

Keywords: Karbala'- Al-Husayn ibn 'Ali- Modern Poetry- killing of Hussein Ibn Ali-Lamentations of Hussein- Martyr.

الملخص

تعالج هذه الدراسة انعكاس معركة كربلاء ومقتل الحسين بن علي في الشعر العربي الحديث خاصّة عند روّاد الإحياء والنهضة الأدبيّة الحديثة، وبشكل خاصّ في العراق عند السيّاب والجواهري. وقد بيّنت الدراسة أنّ واقعة كربلاء قد شكّلت مصدرا مهمّا لدى شعراء العرب المعاصرين، حيث ربطوا بين حياتهم وحياة أمّتهم وبين مقتل الحسين بن علي في كربلاء، وأشاروا إلى أنّ الظلم الذي أصابهم وأصاب شعوبهم ما هو إلا امتداد للظلم الذي وقع على الحسين بن علي في كربلاء. كما بيّنت الدراسة أنّ الشعر العربي الحديث اكتفى أحيانا بجانب الحزن والمأساة من رمز كربلاء، كما وتبيّن أن بعض الشعراء قد وظّف الرمز الكربلائي للقضيّة الفلسطينيّة، وأصبحت كربلاء لدى عدد من الشعراء رمزا للثورة والإباء والشهادة، والخليفة الأمويّ يزيد بن معاوية رمزا للطغيان والظلم واغتصاب الحقّ من أهله، وأصبح الرمز الكربلائي في الشعر العربي المعاصر أنشودة للحريّة ترددها الشعوب المتعطّشة إلى الحريّة وأصبح الحسين موقفا خالدا لا يتوقّف عند فترة زمنيّة عابرة.

Abstract

The present study discusses how the Battle of Karbala and the killing of Hussein b. Ali are reflected in modern Arabic poetry, especially among the pioneers of the modern Arabic literary renaissance in Iraq, al-Sayyab and al-Jawahiri. The study shows that the aforementioned battle is a significant theme in contemporary Arabic poetry, and that poets linked their own lives and the life of their nation with the killing of Hussein in Karbala, perceiving the wrongs which they themselves experienced and which were committed against their peoples as a continuation of the wrongs committed against Hussein at the time. Karbala became a symbol of grief and tragedy, which some poets applied to the Palestinian issue. For others Karbala was a symbol of rebellion and martyrdom while the Umayyad caliph Yazid b. Mu'awiya served as a symbol of oppression and denial of rights. In fact, Karbala in contemporary Arabic poetry can be said to have become a hymn to freedom, recited by nations that thirst for freedom, and Hussein has taken on a timeless character.

أصل اسم كربلاء ومعناه

لقد تضاربت الأقوال في معنى كلمة كربلاء[١] وفي أصل اشتقاقها، ويتضح الخلاف من خلال عرض الآراء التالية[٢]:

١. يشير ياقوت الحموي في معجمه إلى لفظة كربلاء فيعرّفها بقوله: " كربلاء بالمدّ وهو الموضع الذي قُتل فيه الحسين بن علي في طرف البرية عند الكوفة"[٣]. وتوعز هذه اللفظة عنده إلى ثلاثة أوجه:

أ. الكربلة: رخاوَة في القدمَين، يقال جاء يمشي مكربلا فيجوز على هذا أن تكون أرض هذا الموضع رخوة فسُمّيت بذلك.

ب. والكربلَة تعني تهذيب الحنطة وتنقيتهاي قال كربلتُ الحنطة إذا هززتها ونقّيتها، ويُنشد في صفة الحنطة :

يحملن حمراء رسوبًا للثقل قد غُربلتْ وكُربِلَتْ من القَصَلِ

فيجوز على هذا أن تكون هذه الأرض منقّاة من الحصى والدغل فسُمّيت بذلك.

ج. والكربل اسم نبت الحمّاض، فيجوز أن يكون هذا الصنف من النبت يكثر وجوده هناك فسمّي به. قال الشاعر يصف عهون الهودج :

وتامرُ كربَلٍ وعَميمُ دِفْلى عليها والنّدَى سَبط يَمُورُ

٢. وبعد أن يطرح جورج قنازع في مقاله آراء بعض الباحثين المعاصرين لأصل هذه التسمية، والذين لم يقصروا مجهوداتهم على اللغة العربيّة، يتوصّل إلى أن "لفظة كربلاء من أصل غير عربيّ على الأغلب[٤]، أطلقت على منطقة واسعة متّصلة ببابل القديمة، ضمّت عدّة قرى

---

(١) لما أحاطت بكربلاء عدّة قرى، اختلفت أسماء تلك القرى على كربلاء وما يلحظ أن ستةّ عشر اسمًا وردت لها في كتب التاريخ وهي: كربلاء، نينوى، الغاضريّة، شاطئ الفرات، الطَّف، طَّف الفرات، قبّة الاسلام، عموراء، مارية، مكانًا قصيّا، البقعة المباركة صفوراء، شفيه وموضع الابتلاء، محلّ الوفاء، فيوضات ربّ العالمين، النواويس، مشهد الحسين، وحائر الحسين. أنظر: الكِليدار، د.ت، ص ١١؛ المصري، ٢٠٠٠، ص ٣١.

(٢) حاولت هنا تلخيص أهم الآراء دون التعمّق بكلّ رأي على حدّة لأنّه ليس موضوعنا. للاستزادة حول معنى كلمة كربلاء وحول أصل التسمية والمنشأ راجع: الخليلي، ١٩٨٧، ج.٨، ص ٩ وما بعدها.

(٣) الحموي، ١٩٥٧، ٤٤٥/٤، مادة كربلاء.

(٤) كالآشوريّة والآراميّة. ويرى مصطفى جواد الخليلي في موسوعته أنّ لفظ "الكرب" تطوّر معناه في اللغة العبريّة، حيث تعني كلمة كراب- קְרַב المعركة.أنظر: الخليلي، ١٩٨٧، ص ١٤-١٥.

صغيرة، ولم تكن ذات شأن في فترة ظهور الإسلام. من هذه القرى كشفِيّه والغاضريّات ونَينوى وماريّة والعَقْر، وهي آخر أَثَر للبابليّين لا يزال قائمًا"[١].

٣. وربط بعض الكتّاب بين الاسم والفاجعة التي قُدِّر لها أن تصبغ أرض المدينة بالدم، فهي مركبّة من كلمتَين هما كرب وبلاء، وإلى هذا أشار الشريف الرضيّ في قوله: " كربلا ما زلتِ كرْبًا وبلا[٢]".

"وقد رُوي أنّ الحسين لما انتهى إلى هذه الأرض قال لبعض أصحابه ما تسمّى هذه القرية وأشار إلى العَقْر فقال اسمها العَقْر فقال الحسين نعوذ بالله من العَقْر، ثمّ قال فما اسم هذه الأرض التي نحن فيها؟ قالوا كربلاء فقال أرض كرب وبلاء. وأراد الخروج منها فمنع كما هو مذكور في مقتله حتّى كان منه ما كان.

مكانة مدينة كربلاء

تُعتبر كربلاء من المدن العراقيّة القديمة التي يعود تاريخها إلى العهد البابلي، وهي تشتهر بقدسيّتها، فقد أريق على تربتها دم حفيد النبي الحسين بن علي وأهل بيته في واقعة الطَّفِّ [٣] المشهورة سنة ٦١ هـ/٦٨٠م.

---

(١) قنازع، ١٩٩٢، ص ١٨١. وهو برأيه هذا يُعارض رأي "الحَمَوي" الذي يردّ كربلاء إلى أصول عربيّة، ويتفق مع رأي "الخليلي" الذي يرى أن "ردّ الكلمة على الأصول العربية هي محاولة غير مجدية، ولا يصحّ الاعتماد عليها، لأنّها من باب الظنّ والتخمين، والرغبة الجامحة العارمة في إرادة جعل العربية مصدرًا لسائر أسماء الأمكنة والبقاع"، الخليلي، ١٩٨٧، ٨/١٠-١٣.

(٢) عبد الحميد، ١٩٤٩، ص ٦٩.

(٣) الطَّفّ اسم مرادف لكربلاء وهي من نواحي الكوفة على طريق البريّة كان فيها مقتل الحسين بن علي، فيها عدّ عيون جارية منها: الصيد، والقَطقطانيّة، والرُّهَيمة، وعين الجمل، وغيرها، وسمُّيَ بهذا لأنّه يُشرف على العراق. ومن أطفّ على الشئ بمعنى أطلّ. وكانت أرض الطفّ للموكلين بالمسالح التي وضعها ملك الفُرْس سابور الأوّل (حَكَم ٢٤١-٢٧٢م) وراء الخندق الذي حفره بينه وبين العرب. وقد ورد في مراثي الحسين بن علي ذكر "أرض الطَّفّ"، و"يوم الطَّفّ" ، "قتلى الطَّفّ"، و"الطُّفوف" بصورة كثيرة جدّا وهو تعبير عن كربلاء. لمزيد من للتفاصيل انظر: مُحَدِّثي، ١٩٩٧، ٢٨١-٢٨٢.

إنّ تأكيد "هونجمان" في دائرة المعارف الإسلاميّة أنّه "لم يَرد ذكر لكربلاء في التراث العربي قبل الاسلام"[١]، وتعريف "الحموي" لكربلاء بأنّها "الموضع الذي قُتِل فيه الحسين بن علي"، إنما يشير بشكل واضح إلى أنّ مصرع الحسين في كربلاء شكل نقطة تحوّل بالنسبة لهذه البقعة من الأرض، حيث أكسبتها هذه الواقعة مكانة خاصّة دينيّة وفكريّة.

وأنا لا أنفي بهذا وجود تلك المكانة المرموقة لكربلاء قبل الواقعة والموجودة منذ القدم، بحيث "تحدّثنا المراجع التاريخيّة أنّ كربلاء هي أمّ لقرى عديدة تقع بين بادية الشام وشاطئ الفرات، وأنّها كانت من أمّهات مدن بين النهرين الواقعة على ضفاف نهر بالاكوباس –الفرات القديم– وعلى أرضها معبد للعبادة والصلاة كما يستدلّ من الأسماء التي عُرفت بها قديما. وقد كثُرت حولها المقابر كما عثر على جُثث الموتى داخل أواني خزفيّة يعود تاريخها إلى قبل العهد المسيحي. أمّا الأقوام التي سكنتها فكانت تعوّل على الزراعة لخصوبة تربتها وغزارة مائها؛ ومن كلّ ما تقدم تتجسّد لنا المكانة الرفيعة التي مُنيت بها هذه البقعة المقدّسة والمنزلة السامية التي حظيَت بها بين بلدان العالم"[٢].

ويبدو أنّه قبل مقتل الحسين بن علي يوم عاشوراء، كانت كربلاء اسمًا لمدينة صغيرة، أمّا بعد عاشوراء فقد أصبحت عنوانًا لحضارة شاملة.

أحداث واقعة كربلاء [٣]

لا بدّ لنا من وقفة قصيرة على أحداث واقعة كربلاء، من خلال رحلة عاجلة عبر التاريخ إلى قرون مضت، حيث أنّه في العاشر من محرّم سنة ٦١ للهجرة (١٠ أكتوبر ٦٨٠ م) وقعت معركة كربلاء بين الحسين بن علي بن أبي طالب[٤] ومجموعة من أهل بيته لا يتجاوز عددهم التسعين رجلا، وقوات من الأمويّين بقيادة عمر بن سعد (ت. ٦٨٦ م) .

(١) هونجمان، ١٩٧٨، ص ٦٣٧.

(٢) الطعمة، ١٩٨٨، ص ١٢–١٣.

(٣) استقيت معلوماتي حول الواقعة من مراجع عدة أهمها: ابن كثير، ١٩٦٦، ١٤٦/٣؛ الحيدري، ١٩٩٩، ص ٨٧؛ الخليلي، ١٩٨٧، ص ٤٥؛ السيوطي، ٢٠٠٣، ص ٤٦٥.

(٤) الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، وكنيته أبو عبد الله، حفيد محمد رسول الله عليه السلام ومن أهل بيته، أبوه علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين في الاسلام وأوّل أئمّة الشيعة لدى المذهب الشيعي الإمامي، أمّه فاطمة الملقّبة بالزهراء بنت محمّد بن عبد الله عليه السلام.

تنقل لنا كتب التاريخ أنّ الخلافة استقرّت لمعاوية بن أبي سفيان سنة (٤١هـ/٦٦١م)، بعد أن تنازل له الحسن بن على بن أبي طالب عن الخلافة، وبايعه هو وأخوه الحسين وتبعهما الناس؛ وذلك حرصًا من الحسن على حقن الدماء وتوحيد الكلمة والصفّ، وقد أثنى الناس كثيرًا على صنع الحسن، وأطلقوا على العام الذي سعى فيه بالصلح "عام الجماعة".

فاجأ معاوية بن أبي سفيان الأمّة الإسلاميّة بترشيح ابنه يزيد للخلافة من بعده، وبدأ في أخذ البيعة له في حياته، في سائر الأقطار الإسلاميّة، بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى، ولم يعارضه سوى أهل الحجاز، وتركزت المعارضة في الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير.

توفّي معاوية بن أبي سفيان سنة ٦٠ هـ/٦٧٩ م، وخلفه ابنه يزيد؛ فبعث إلى واليه بالمدينة لأخذ البيعة من الحسين الذي رفض أن يبايع يزيد، كما رفض- من قبل- تعيينه وليًّا للعهد في خلافة أبيه معاوية، وغادر المدينة سرًا إلى مكّة واعتصم بها، منتظرًا ما تسفر عنه الأحداث.

وُلِد في المدينة المنورة في ٣ شعبان سنة ٤ هجريّة. وقد استبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بولادته، وانطلق إلى بيت ابنته فاطمة الزهراء ليبارك لها الوليد.وأذّن عليه السلام في أذْنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى، فلما كان اليوم السابع سمّاه "حسيناً".

في عهد أبيه (علي بن أبي طالب) مضى الحسين ستّة أعوام في أحضان جدّه النبي عليه السلام، تعلّم فيها الكثير من أخلاق جدّه وأدبه العظيم. وعندما توفّي النبي صلى الله عليه وسلم أمضى ٣٠ سنة من عمره في عهد أبيه. شارك في معارك "الجمَل" و "صفّين" و "النَّهروان". وعندما قُتِل علي بايع الحسين أخاه الحسن بالخلافة، ووقف إلى جانبه.

عاصر الحسين خلافة معاوية بن أبي سفيان وقد قام ضدّ يزيد بن معاوية فيما يسمّى بواقعة الطف.

لُقِّب الحسين بألقاب كثيرة: الرشيد والطيب والوفي والسيّد والزكي والمبارك والتابع لمرضاة الله والسِّبط وسيّد شباب أهل الجنّة والشهيد والمظلوم الشهيد. وقد استشهد الحسين هو وأهل بيته وأصحابه في معركة كربلاء يوم العاشر من محرّم سنة ٦١ هجري المسمّى عاشوراء. أنظر: تفاحة، ١٩٩٠، ص ٤٩؛ شبر، ١٩٨٨، ص ٤٢.

رأى أهل الشيعة في الكوفة أنّ الفرصة قد حانت لأن يتولّى الخلافة الحسين بن علي، واتّفقوا على أن يكتبوا للحسين يحثّونه على القدوم إليهم، ليبايعوه بالخلافة، وتتابعت رسائل أشراف الكوفة إلى الحسين، كلّها ترغّبه في الحضور.

وأمام هذه الرسائل المتلاحقة، ووعود أهل الكوفة الخلابة بالنصرة والتأييد، استجاب الحسين لدعوتهم، وعزم قبل أن يرحل إليهم أن يستطلع الأمر، ويتحقّق من صدق وعودهم؛ فأرسل ابن عمّه "مُسلِم بن عَقيل بن أبي طالب (ت ٦٨٠ م)" لهذا الغرض، والذي لم يكن أمامه وهو يرى الحشود الضخمة التي أعلنت بيعتها للحسين إلا أن يكتب للحسين يطمئنه ويطلب منه القدوم، ويقول له: "بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألف رجل فأقدم، فإنّ جميع الناس معك، ولا رأي لهم في آل أبي سفيان".

ولما علم "يزيد بن معاوية" بما يحدث في الكوفة، عزل واليها "النّعمان بن بشير الأنصاري " لتساهله مع "مُسلِم" وتغاضيه عما يفعله، وولّى مكانه "عبيد الله بن زياد (ت٦٨٦م)" فحضر على الفور، واتّبع مع أهل الكوفة سياسة الشدّة والترهيب، واشترى ولاء بعضهم ببذل الأموال، فانفضّت الآلاف من حول "مسلم" وتركوه يلقى مصرعه وحده، بعد أن قبض عليه "عُبَيد الله بن زياد" وألقى به من أعلى قصر الإمارة فمات، ثمّ صلبه؛ فكان أوّل قتيل صُلبت جثّته من بني هاشم.

خرج الحسين من مكّة إلى الكوفة[1]، وعندما علم بمقتل "مسلم" وتخاذل الكوفيّين عن حمايته ونصرته، قرّر العودة إلى مكّة، لكن إخوة "مُسلم" أصرّوا على المضي قدمًا للأخذ بثأره، فلم يجد الحسين بدًا من مطاوعتهم، وواصل السير حتى بلغ كربلاء على مقربة من الكوفة ووجد جيشًا كبيرًا في انتظاره يقوده "عمر بن سَعد بن أبي وقّاص" في حين كان مع الحسين نحو تسعين نفسًا، بعدما تفرّق عنه الناس، ولم يبقَ معه إلا أهل بيته وقليل ممّن تبعوه في الطريق، وتمّت المواجهة العسكريّة غير المتكافئة التي كان من نتيجتها استشهاد الحسين وعدد من كان معه في العاشر من محرّم سنة ٦١ هـ/٦٨٠ م في كربلاء.

وبهذا، ولدت هذه الواقعة مأساة مروعة أدمت قلوب المسلمين وهزّت مشاعرهم وحرّكت عواطفهم نحو أهل البيت، وكانت سببًا في قيام ثورات عديدة ضدّ الأمويّين، حتى انتهى الأمر بسقوطهم، وقيام الدولة العباسيّة على أنقاضها. كما وحوّلت كربلاء إلى بقعة مقدّسة، وأكسبتها مكانة خاصّة في الفكر الإسلامي عامّة والشيعي خاصّة، وفي الأدب الذي كُتب على مرّ العصور في رثاء الحسين منذ مقتله وحتى اليوم.

وقد أصبحت هذه المعركة وتفاصيلها ونتائجها تمثّل قيمة روحانيّة ذات معان كبيرة لدى الشيعة الذين يعتبرون معركة كربلاء ثورة سياسية ضدّ الظلم. بينما أصبح مدفن الحسين في

(١) في ٨ من ذي الحجة ٦٠ هـ.

كربلاء مكانًا مقدسًا لدى الشيعة يزوره مؤمنوهم، مع ما يرافق ذلك من ترديد لأدعية خاصّة أثناء كلّ زيارة لقبره.

وهكذا يمكن القول: إنّ واقعة الطّفّ تُعتبر من أكثر المعارك جدلا في التاريخ الإسلامي فقد كان لنتائج وتفاصيل المعركة آثار سياسيّة ونفسيّة وعقائديّة لا تزال موضع جدل إلى يومنا هذا حيث تعتبر هذه المعركة أبرز حادثة من بين سلسلة من الوقائع التي كان لها دور محوريّ في صياغة طبيعة العلاقة بين السنة والشيعة عبر التاريخ وأصبحت معركة كربلاء وتفاصيلها الدقيقة رمزًا للشيعة ومن أهم مرتكزاتهم الثقافية.

"**إذا نظرنا إلى مأساة كربلاء على أنّها حادث من أحداث التاريخ كحرب البَسوس أو كيَوْم ذي قار أو كمعركة القادسيّة أو كحصار القسطنطينيّة، فإنّنا لا نعدو بمأساة كربلاء أن تكون حادثة من ألوف الحوادث التي مرّت في التاريخ، ويكون الحسين بن علي، حينئذ . بهذا النظر القاصر . قائد حملة لم يُكتب لها النجاح. أمّا إذا نظرنا إلى مأساة كربلاء على أنهّا كلمة حقّ في وجه حاكم جائر، ثمّ عزمنا على أن نجعل من تلك الكلمة من الحقّ مَعْلماً في تاريخنا وقدوة في حياتنا، نقف في كلّ قضية لنا كما وقف الحسين قبل كربلاء ويوم كربلاء، فإننا نكون قد وضعنا يوم كربلاء في إطاره الصحيح من تاريخ الاسلام ونكون قد جعلنا من عمل الحسين أسوة لنا ننتفع بها في سلوكنا اليومي وفي معالجة قضايانا**".

بهذه الكلمات اختتم الدكتور عمر فرّوخ[١] كلمته بعنوان "المأساة والتأسّي"[٢]. وهو ما حصل فعلاذ، فقد نظر الشعراء العرب المعاصرين إلى المعاني المستخلصة من يوم كربلاء، وهي كثيرة ومتجددة، من أجل فهم الواقع المعاصر ومعالجة مشكلاته.

القصيدة الكربلائيّة

مسيرة البحث عن القصيدة الكربلائيّة مصاحبة لها الظاهرة الحسينيّة في الشعر الحديث. وملاحظتنا الأولى الجديرة بالذكر هي أنّ تناول الشعراء المعاصرين لواقعة كربلاء والثورة الحسينيّة قد اختلف قليلا أو كثيرًا عن تناول القدماء، من حيث تنوّع الدلالات السياسيّة والاجتماعيّة والايحاءات الرمزيّة التي تختزنها واقعة كربلاء.

---

(١) ولد عمر فرّوخ في بيروت سنة ١٩٠٦، حصل على الدكتوراه في الفلسفة من ألمانيا عام ١٩٣٧، كان عضوًا في مجتمع القاهرة ودمشق وبومباي، نال ستّة أوسمة من أقطار عربيّة وأجنبيّة، له مؤلّفات كثيرة، وتوفي سنة ١٩٨٧.

(٢) كتبت هذه المحاضرة في١٩٧٧/١٢/٩م وألقيت في احتفالات العشر الأوائل من المحرّم (في الكويت) لمناسبة عاشوراء المحرّم من سنة ١٣٩٨هـ.

قفد تخطّت واقعة الطَّفّ، منذ وقت مبكر، دلالاتها الذاتيّة المباشرة المتعلّقة بتفاصيل ما حدث يوم العاشر من محرم الذي استشهد فيه الحسين وأبناؤه وإخوانه وأصحابه، لتصبح رمزًا لكل ثائر ضدّ الظلم وطامح إلى العدل ورافض للباطل ومروّجه، وكلّ تلك عناوين إسلاميّة حمل لواءها الثائرون والمصلحون على مرّ العصور حتّى قال أحدهم:

فإنّ الأولَى بالطّفّ من آلِ هاشمٍ وسنّوا للكرامِ التأسيّا(١)

لا بل إنّ تلك الأهداف النبيلة، هي في جوهرها أهداف إنسانيّة يسعى لها كلّ إنسان يعي ذاته ويحاول استرداد حريته المسلوبة. وبذا يتّسع الرمز الكربلائي ليتجاوز حدود الزمان والمكان ويستوعب قضايا الإنسان المعاصر.

إنّ الثورة التي هزّت البنيان الشعري للقصيدة العربيّة في أواسط القرن العشرين، لم تكن مقتصرة على تحوّل جذري في الشكل–وإن بدا كذلك في بداياته– بل صاحبه تحوّل في المضامين أيضًا. ومن ضمن التغييرات التي طرأت على مضمون القصيدة الحديثة استعانة الشاعر بركائز عديدة من ضمنها الاعتماد على الرمز(٢) والأسطورة(٣) والقناع(٤) ومزجها لخلق رؤيا جديدة في النصّ الشعري.

---

(١) يُنسب هذا القول لمُصْعَب بن الزبير، قاله لما توجّه إلى عبد الملك بن مروان لقتاله ، فلما بلغ الحيرَة دخل فوقف على قبر أبي عبد الله، ثمّ قال : يا أبا عبد الله، أما والله لئن كنت غصبت نفسك ما غصبت دينك، ثم انصرف وهو يردّد البيت السابق.

(٢) والرمز يُعَدُّ إحدى أهم سمات (قصيدة الرؤيا) التي غطّت مرحلتي الخمسينيّات والستينيّات. ومن أجل تحديد الدلالة الاصطلاحيّة للرمز نقول: إن الرمز كلمة، أو عبارة، أو صورة، أو شخصيّة، أو اسم مكان يحتوي في داخلة على أكثر من دلالة، يربط بينها قطبان رئيسيّان. يتمثّل الأوّل بالبعد الظاهر للرمز، وهو ما تتلقّاه الحواس منه مباشرة، ويتمثّل الثاني بالبعد الباطن أو البُعد المراد إيصاله من خلال الرمز. وهناك علاقة وطيدة بين ظاهر الرمز وباطنه.

(٣) إنّ توظيف الأسطورة في النصّ الشعري العربي المعاصر مسألة في غاية الأهميّة، إنّها تشكل نظامًا خاصًا داخل بنية الخطاب الشعري العربي المعاصر. وعندما نستحضر الأسطورة، فإنّنا نستحضر التاريخ نفسه والذي قد يكون متداخلا مع الميثولوجيا والخرافة أحيانًا.

(٤) قصيدة القِناع هي وسيلة فنيّة لجأ إليها الشعراء للتعبير عن تجاربهم بصورة غير مباشرة، أو تقنيّة مستحدثة في الشعر العربي المعاصر شاع استخدامه منذ ستينيّات القرن العشرين بتأثير الشعر الغربي وتقنيّاته المستحدثة، للتخفيف من حدّة الغنائية والمباشرة في الشعر، وذلك للحديث من خلال شخصيّة تراثيّة، عن تجربة معاصرة، بضمير المتكلّم. وهكذا يندمج في

هذا، وبالرغم من وجود هذه العناصر في القصيدة التقليديّة، إلا أنّها وُظفت في القصيدة الحديثة بتوظيف مختلف ومنحى جديد. وقد انتبه الشاعر الحديث إلى ضرورة تواشج الرمز والأسطورة مع البناء الداخلي للنصّ شكلا ومضمونًا، بحيث لا يشعر القارئ بأنّ ذلك الرمز وهذه الأسطورة قد أُقحما إقحامًا على البناء الشعري.

القصيدة صوتان: صوت الشاعر، من خلال صوت الشخصيّة التي يعبّر الشاعر من خلالها. أنظر: عزام، ٢٠٠٥، ص ٣٤.

ومن أقنعة الصحابة نجد أنّ أكثر ما تقنع شعراؤنا المعاصرون بشخصيّة (الحسين بن علي) شهيد كربلاء الذي استشهد وأصبح رمزًا أعلى في الشهادة من أجل الأفضل، ومن هنا اتخاذُه قناعًا من قبل بعض الشعراء المعاصرين للثورة على القيم الفاسدة في هذا العصر الجبان.

ولعلّ "أدونيس" يفوق غيرَه من الشعراء في الإفادة من معطيات شخصيّة الحسين، حيث يبدو مرتاحًا إلى هذا الرمز، يجود بشعره فيه، وذلك في مقطع (مرآة الشاهد) من قصيدته (مرايا وأحلام حول الزمن المكسور) حيث يعادل فيه بين رمز الحسين ورمز المسيح، وحيث تشارك الطبيعة في كلّ مظاهرها بالحزن على الحسين:

وحينما استقرت الرماحُ في حُشاشة الحسين، وازيّنت بجسد الحسين
وداست الخيولُ كلَّ نقطة في جسد الحسين، واستُلبتْ وقُسّمتْ ملابسُ الحسين
رأيتُ كل حجر يحنو على الحسين
رأيتُ كلّ زهرة تنام عند كتف الحسين
رأيتُ كلّ نهر يسير في جنازة الحسين.

وكذلك تقنّع الشاعر "فايز خضور" بالحسين، وذلك في قصيدته (اعترافات علي بن الحسين) عبّر فيها عن مأساة المناضل العربي في الواقع الراهن، وأدان الواقع، من خلال شخصية الحسين، متماهيًا بالحسين:

كنتُ أدعو لمصير عربي
يمنح الكون سلامهْ
لا لعرش دموي.

وكذلك تقنّع "خالد محيي الدين البرادعي" بشخصيّة الحسين، فاتخذه قناعاً في قصيدته (الحسين مقتول في كلّ مكان). روى فيها قصّة خروج الحسين من الحجاز إلى العراق، لإنقاذ المسلمين من السلطة القائمة آنذاك، وتماهى معه، فهو أيضًا يريد أن ينقذ الوطن من المفسدين الذي ولغوا فيه، فما شبعوا.

لقد كانت واقعة كربلاء حدثًا تاريخيًا ذا أبعاد زمانيّة ومكانيّة، ولكن ذلك الحدث قد فاض عن واقعه المحدّد إلى آفاق جديدة أكثر اتّساعًا. وسنعرض في الصفحات المقبلة نماذج من التوظيف الكربلائي في الشعر العربي الحديث.

القصيدة الكربلائيّة وشعراء الحداثة: "بدر شاكر السيّاب"[١] نموذجًا:

من التمرّد على المطلع الطللي، إلى أبي نوّاس وجديد أبي تمام والمتنبي والمعري.. ثمّة تجارب إبداعيّة تشكّل حالة مغايرة من التفرّد والتمايز، لكن الثورة الحقيقيّة في الشعر العربي ـ كما يرى معظم النقّاد[٢]. بدأت في مطلع خمسينات القرن الماضي، في ظلّ توافر مجموعةٍ من العوامل الاجتماعيّة والسياسيّة والفكريّة والثقافيّة.

إنّ الحركة الشعريّة التي لاحت بوادرها في الأفق العربي في أعقاب الحرب العالميّة الثانية كانت حركة شعريّة جديدة، والأسماء المطروحة لهذه الحركة كثيرة: " الشعر الحديث"، " الشعر الحرّ"، " شعر التفعيلة"...إلخ.

ومن المعروف أنّ هذه الحركة– والتي يرجع تأسيسها إلى الشاعرَيْن العراقيَيْن نازك الملائكة، وبدر شاكر السيّاب[٣]– أحدثت انقلابًا في شكل القصيدة العربيّة، وكذلك في مضامينها وموضوعاتها، غير أنّ من المهمّ أن نشير إلى أنّ هذا الانقلاب وهذه التغييرات لم تقلل من وفاء هذه الحركة لواقعة كربلاء ولثورة الحسين، انطلاقا من كونهما رمزا إنسانيّا يُلامس عواطف النفوس المرهفَة.

لذا، وتضامنًا مع الباحثين العرب الذين اعتادوا الدخول إلى عالم الشعر الحديث من بوابة جيل الروّاد: السياب، نازك، والبياتي، فقد نقبتُ عن قصائد لهؤلاء الشعراء، تحمل عبق كربلاء.

وقد آثرتُ أن أستهلّ هذا الفصل بالقصيدة العموديّة التي أفردها السياب لواقعة الطَّفّ، والتي احتفى بها بثورة الحسين، وصوّر فيها مأساة كربلاء تصويرًا عاطفيًّا سكب عليه من روحه. تلك التي اختار لها عنوانًا مميزًا: "الدمعة الخرساء" ونشرها في ديوانه "أساطير"، يقول فيها مُخاطبًا يزيد بن معاوية:

---

(١) بدر شاكر السيّاب (١٩٢٦–١٩٦٤م) شاعر عراقي، تخرّج من دار المعلمين العالية في بغداد، والتحق بفرع اللغة العربيّة، ثمّ الإنجليزيّة. ومن خلال تلك الدراسة أتيحت له الفرصة للإطلاع على الأدب الإنجليزي بكلّ تفرعاته. توفّي بالمستشفى الأميري في الكويت، ونُقِل جثمانه إلى البصرة. من دواوينه: أزهار ذابلة، أساطير، حفار القبور، المعبد الغريق، شناشيل ابنة الجلبي.أنظر: الجدع، ١٩٨٦؛ حداد، ١٩٩٨.

(٢) أنظر: جيوسي، ٢٠٠١؛ خفاجي، ١٩٨٢.

(٣) مع وجود خلاف بين النقّاد حول روّاد هذه الحركة الشعريّة.

ارمِ السماءَ بنظرة استهــزاءِ واجعل شرابَك من دمِ الأشلاءِ
واسحقْ بظلِك كلَّ عرضِ ناصعٍ وأبح لنـعلِك أعظـمَ الضعفاءِ
واملأ سراجَك إن تقضَّى زيتُــه ممّــا تــدرُ نواظــبُ الأثداءِ
واسدر بغيّك يا يزيدُ فقــد ثوى عنك الحسينُ ممزّقَ الأحشاءِ[١]

وبالرغم من أنّ قصيدتنا هذه تبدو لأوّل وهلة بعيدة عن ذكر كربلاء الواقعة أو حتى شخصيّة بطلها الحسين، إلا أنّ تجسيدها لحوارٍ بين الشاعر وبين "يزيد بن معاوية" تجعلها تصبّ في القالب نفسه، وتطرح إمعان الشاعر في تقصّي أبعاد صورة القاتل في أبيات هذه القصيدة، وكأنّه يبغي من وراء ذلك التشديد على أنّ واقعة كربلاء بتفاصيلها هذه كانت ثورة عظيمة، حتّى دون أن يكون هناك داعٍ لربطها بالبعد الديني. وهذا يؤكّد أنّ السيّاب تعامل مع الواقعة تعاملا دنيويًّا لا دينيًّا.

تشكّل هذه القصيدة لوحة ظلم إنساني هيّجتها ذكرى يوم عاشوراء لدى الشاعر، الذي يعمد إلى تصوير شهوة الدم التي استبدّت بيزيد، واستهتاره بدماء الأحرار والمستضعَفين، وبخاصة حينما أمر بقتل الحسين بتلك الصورة الوحشيّة (برأي الشاعر). لكن للتاريخ حكمه وللآخرة حسابها، حيث يُبصر الشاعر فيرى القاتل في درك الجحيم مكلّلاً بالعار ويداه موثقتان بالسوط الذي كان يعذب به ضحاياه، يقول:

أبصرتُ ظلَك يا يزيدُ يرجّه موجُ اللهيبِ وعاصفِ الأنواءِ
رأسٌ تكلّلَ بالخنا، واعتاضَ عن ذلك النضارِ بحيّةٍ رقطاءِ
ويدان موثقتان بالسوطِ الذي قد كانَ بعبث أمسِ بالأحياءِ[٢]

ثمّ يعرج من "يزيد" إلى الحسين الذي يعتبره شهيدًا صاحب رسالة في هذه الحياة، وهي لن تنتهي بموت صاحبها بل تستمر حيّة خالدة تفعل فعلها في الأجيال. مشدّدًا على النتيجة التي يحصدها "يزيد" في آخر الأمر، وهي تبخّر سلطانه ونفوذه، وبقاء اسمه سبّة التاريخ، بينما في المقابل تبقى الأجيال لاهجة بمناقب الشهداء:

قُمْ واسمعْ اسمَكَ وهو يغدو سُبّةً وانظرْ لمجدِك وهو محضُ هباءِ

وانظر إلى الأجيالِ يأخذ مُقْبِلٌعن ذاهبِ ذكرى أبي الشهداء[٣]

(١) من: http://www.annabaa.org/nba44/damaa.html
(٢) الموقع السابق.
(٣) م.س.

استمراريّة الرؤية الكربلائيّة الجديدة:"عبد الوهاب البيَّاتي"[١]:

في محاولة منه لرسم صورة فنيّة للعراق يتداخل فيها التراث الاسلامي بالبعد الإنساني، وتتّسم بروح التجديد، يمزج البياتي دم الحسين بطبيعة العراق، في قصيدة له ضمن ديوانه "الموت في الحياة[٢]":

أرضٌ تدور في الفراغ ودم يُراق
وَيْحِي على العراق
تحت سماء صيفِه الحمراء
من قبل ألفِ سنةٍ يرتفع البكاء
حزنًا على شهيد كربلاء
ولم يزل على الفُرات دمه المُراق
يصبغ وجه الماء والنخيل في المساء

من الأبيات السابقة نلمس سعي الشاعر للمزج بين دم الحسين بطبيعة العراق، وكأنّ القدر المأساويّ يفرض نفسه على كليهما وينتظرهما في دوامة متّصلة تتكرّر دائمًا ومنذ ألف عام. وتتشابك كلّ معالم الحياة معًا للتضامن مع الحدث، وتنفعل كلّ أجزاء المشهد الحياتي للمجتمع العراقي، فينشر الحزن والبكاء عباءتهما على الأجواء، يرافقهما دوران الأرض

(١) عبد الوهّاب البياتي (١٩٢٦ – ١٩٩٩) شاعر عراقي ولد في بغداد. تخرج بشهادة اللغة العربيّة وآدابها ١٩٥٠ م، واشتغل مدرسًا من عام ١٩٥٠–١٩٥٣م. مارس الصحافة، واعتقل بسبب مواقفه الوطنيّة. فسافر إلى سورية ثمّ بيروت ثمّ القاهرة. وزار الاتحاد السوفييتي واشتغل أستاذا في جامعة موسكو، ثمّ باحثًا علميًا في معهد شعوب آسيا، وزار معظم أقطار أوروبا الشرقية والغربية. وفي سنة ١٩٦٣ م أُسقطت عنه الجنسيّة العراقيّة، ورجع إلى القاهرة وأقام فيها. وفي الفترة (١٩٧٠–١٩٨٠)م أقام الشاعر في إسبانيا، وهذه الفترة يمكن تسميتها المرحلة الاسبانيّة في شعره، صار وكأنّه أحد الأدباء الإسبان البارزين، إذ أصبح معروفا على مستوى رسمي وشعبي واسع، وتُرجمَت دواوينه إلى الإسبانيّة، ثمّ أقام في دمشق حتّى وفاته عام ١٩٩٩م.من أعماله: ديوان ملائكة وشياطين، أباريق مُهشّمة، أشعار في المنفى، الموت في الحياة، يوميّات سياسي محترِف. حول حياته يُنظر: جبران، ١٩٨٩؛ شرف، ١٩٩١.

(٢) البياتي، ١٩٩٥، ص ١٣٥.

المتّصل بالدم المُراق الذي يسدل الستارة على المسرح صابغا الفرات والنخيل في المساء[١].

القصيدة الكربلائيّة بعد حركة التجديد: "محمّد مهدي الجواهري"[٢] نموذجًا:

لقد أدّت حركة التجديد في الشعر العربي المُعاصر إلى بلورة مفاهيم جديدة، فصارت واقعة كربلاء تأخذ أبعادًا أرحب ولم تعد استذكارًا للإمام الحسين بن علي، أو رغبة في تجديد مناسبة دينيّة، فقد صار الشعراء يميّزون بين الحسين الثائر بعده مثالا لكلّ مظلوم يجب أن لا ترهبه القوّة، وبين الحسين الإمام ذي الحق الإرثي في الخلافة كما يُنظر إلى ذلك عقائديًا.

ولعلّ الشاعر العراقي محمّد مهدي الجواهري هو من أفضل من يعكس هذا التجديد، وليمثّل ثورة في عالم القصيدة الكربلائيّة، فكما عهدناه في معظم قصائده ثائرًا سياسيًا واجتماعيًا،

---

(١) يجدر الذكر هنا لمدى الشبه الظاهري بين أبيات البياتي وقول أبي العلاء المعري في نونيّته الشهيرة دامجًا قتل الحسين مع حمرة السماء :

وعلى الأفق من دماء الشهيدَين علي ونجله شاهدان

فهما في أواخر الليل فجران وفي أوليّاته شفقان

ثبتا في قميصه ليجيء الحشر مستعديًا إلى الرحمن

وحول هذا الربط جاء في "التبصرة": " لما كان الغضبان يحمرّ وجهه عند الغضب، فيستدلّ بذلك على غضبه وأنّه إمارة السخط، والحقّ سبحانه ليس بجسم فأظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بحُمرَة الأفق، وذلك دليل على عظم الجناية".أنظر: ابن الجوزي، ١٩٧٠، ص ٢٢٧.

(٢) محمّد مهدي الجواهري (١٨٩٩ - ١٩٩٧) شاعر من العراق وُلِد في النجف، من أسرة عريقة في العلم والأدب. تلقّى دراسته في النجف ولما أنهى الدراسة عمل في التعليم فترة من الزمن، كان أبوه عبد الحسين عالمًا من علماء النجف ، أراد لابنه أن يكون عالمًا دينيّا، لذلك ألبسه عباءة العلماء وعمامتهم وهو في سنّ العاشرة.

نظم الشعر في سنّ مبكرة وأظهر ميلاً منذ الطفولة إلى الأدب فأخذ يقرأ أمّهات الكتب كتاب ودواوين الشعر؛ اشترك في ثورة العشرين عام ١٩٢٠ ضدّ السلطات البريطانيّة، ثمّ اشتغل مدّة قصيرة في بلاط الملك فيصل الأوّل عندما تُوج ملكاً على العراق وكان لا يزال يرتدي العمامة، ثمّ ترك العمامة كما ترك الاشتغال في البلاط الفيصلي وراح يعمل بالصحافة بعد أن غادر النجف إلى بغداد ، فأصدر مجموعة من الصُّحُف منها جريدة (الفرات) وجريدة (الانقلاب) ثمّ جريدة (الرأي العام) وانتُخِب عدّة مرّات رئيساً لاتحاد الأدباء العراقيّين.

للاستزادة حول حياة الجواهري يُنظر: جبران، ٢٠٠٣؛ جواهري، ١٩٩١؛ عطية، ١٩٩٨.

كذلك نجد لديه تجديدًا جذريًا في قصائده الكربلائية الحسينية، **وربما لهذه الأسباب يستحق الجواهري منا وقفة لا يُستهان بها عند أشعاره.**

كان الجواهري من كبار شعراء العربيّة الذين طرقوا كلّ فنون الشعر وأبدعوا فيه أيما إبداع. وكان التفجّع والرثاء واحدًا من فنون الشعر المتصلة بأعماق الشاعر ووجدانه الحسّاس حيث ترك عددًا من القصائد المتميّزة في هذا الباب. ففي اثنتَين من غرّ قصائده، رثى الجواهري الإمام الحسين بن علي وهما:

أ) القصيدة الأولى: قصيدة "عاشوراء" نظمها يوم عاشوراء ذكرى مقتل الحسين في العاشر (١٠ محرّم ١٣٥٤هـ/ ١٣ أبريل ١٩٣٥م):

هي النفسُ تأبى أن تـذلَّ وتُقهـرا ترى الموتَ من صبرٍ على الذلّ أيسرا
وتختار محمودًا من الذِّكْر خالـدًا على العيـــشِ مذموم المغبّةِ منكرا
مشى ابنُ عليٍ مشيةَ الليثِ مخدرًا تحدّته في الغــابِ الذئــابُ فأصْحَرا
وما كان كالمعطي قيــادًا محـاولاً على حيـن عـضّ القيد أن يتـحرّرا
ولكنّ أَنوفًا أبصر الـذلّ فانثنـــى لأذيالــه عـن أن تـلاث مشمـّــرا
تسامى سموّ النجم يأبى لنفســـه على رغبــــة الأدنيـن أن تتحــدّرا
وقد حلفت بيض الظبا أن تنوشه وسُمُرُ القنـا الخطــي أن تتكســـرا[١]

ويستعرضُ الشاعر في هذه القصيدة مأساة الحسين الشهيد منذ مغادرته بلاد الحجاز حتّى دخوله الكوفة واستشهاده في يوم الطَّفّ الذي قال فيه:

ونكّس (يوم الطفّ)[٢] تاريخُ أمّةً مشى قبلَها ذا صولةٍ متبخترا
فما كان سهلا قبلها أخذُ مـوثقٍ على عربيّ أن يقول فيعـــذرا[٣]

وقد يعترض البعض على هذه القصيدة كنموذج للتجديد، في الوقت الذي تسير فيه هذه القصيدة سير المدائح القديمة، فلا تختلف عن المراثي الحسينيّة الأخرى[٤] (التي رأينا نماذجَ منها في الصفحات السابقة).

(١) الجواهري، ١٩٨٢، ٢/٨٧.

(٢) تشكّل قضية إيراد ألفاظ "مقوّسة" ظاهرة أسلوبيّة لدى الجواهري. حول هذه الظاهرة ودوافعها ودلالاتها لدى الشاعر يُنظر: جبران، ٢٠٠٦، ص ١١٧–١١٨.

(٣) الجواهري، ١٩٨٢، ٢/٨٩.

(٤) وأقصد بالشبه والاختلاف ها هنا قضيّة طرح الموضوع وتناوله، ولا أقصد الأسلوب، لأنّ الفرق الأسلوبي يبرز في موهبة الجواهري وحسن سبكه للمفردات والمعاني.

والإجابة لمثل هذا الاعتراض مستقاة من الدكتور زاهد محمّد زهدي الذي يرى أنّ "أكثر ما يلفت الانتباه في هذه القصيدة هو الأبيات الثلاثة الأخيرة التي يدعو فيها الشاعر إلى الامتناع عن تحريف التاريخ وتزويره، ممّا يستخدمه أعداء الأمّة لتفريق صفوفها، وبثّ دواعي الضغينة والتمزّق بين شبابها، بدعاوى جاهليّة وأخبار زائفة تعمّد ايرادها المرجفون دون أن يكون لها سند من الواقع التاريخي"[١] يقول:

أقول لأقوامٍ مضَوا في مصابه[٢] يسومونَه التحريف حتّى تغيّرا
دعوا روعَة التاريخ تأخذُ محلَّها ولا تُجهدوا آياتِه أنْ تحـوّرا
وخلُّوا لسانَ الدهرِ ينطـقُ فإنّـه بليغٌ إذا ما حاولَ النطقَ عبّرا[٣]

وبذا، فإنّ التجديد في الموضوعة الكربلائيّة يكمن في هذه الأبيات على وجه الخصوص، والتي تشفّ عن رؤية جديدة للشاعر تختلف عن سابقيه في تناول واقعة كربلاء، من خلال تصريحه عن احتجاجه على المحرِّفين لثورة الحسين، وينادي بإبقاء واقعة كربلاء على روعتها الاولى دون تحويرها لتُلائم أهواء الحكام أو العامّة من الجهلة.

ب) القصيدة الثانية: قصيدة "آمنتُ بالحسين"[٤]، نظمها في يوم عاشوراء ذكرى مقتل الحسين (١٠ محرّم ١٣٦٧هـ/ ٢٣ نوفمبر ١٩٤٧م):

في هذه السنة، وفي المناسبة ذاتها[٥]، وقف الجواهري في كربلاء مقابلا مرقد الحسين مخاطبًا إياه، ونظم قصيدته المشهورة باسم: " آمنتُ بالحسين" بعد مرور اثني عشر عامًا على القصيدة السابقة. وفي هذه القصيدة تتجلّى الرؤية الجواهريّة الكربلائيّة بشكل أوضح وأكثر اكتمالا ونضوجًا. ومطلع القصيدة:

فداءٌ لمثواكَ من مضجعٍ تنوّر بالأبلـجِ الأروعِ

(١) زهدي، ١٩٩٩، ص٣٤١.
(٢) مصاب الحسين.
(٣) الجواهري، ١٩٨٢، ٢/٨٧-٩٠.
(٤) تجدر الإشارة إلى أنّ خمسة عشر بيتًا منها قد كُتبت بالذهب على الباب الرئيسي الذي يؤدّي إلى " الرواق الحسيني"، حيث مدخل الروضة الحسينيّة المطّهرة في مدينة كربلاء.
(٥) نقصد ذكرى عاشوراء.

ورعيًا ليومِك يوم (الطُّفوف)[1] وسُقيا لأرضِك من مصرعِ

وحزنًا عليكَ بحبسِ النفوسِ على نهجِك النيّر المهيعِ

وقد يقول قائل: ما وجه التغيير الجذري الذي خلقه الجواهري وابتدعه، وغيّر فيه عن النهج المتّبع قبله؟

أقول: صحيح أنّ الجواهري يرسم في أبيات قصيدته المذكورة صورة مفجعة لواقعة كربلاء، ولموقف الناس منها، بطريقة يشعر معها القارئ بمدى اختلاج قلب الشاعر بحبّ الحسين وآل البيت، مثله في ذلك مثل كثير من الشعراء السابقين؛ إلا أنّ هناك فارقًا جوهريًا بين الجواهري ومن سبقه من شعراء جعلوا كربلاء غاية أشعارهم وفي رأس قائمتها.

ويكمن التجديد في الباعث على كتابة مثل هذه الأشعار، حيث نكاد نلمس أنّ تقديس الجواهري للحسين– والذي يطلّ جليًّا عبر أبيات القصيدة–لا ينبع عن عقيدة دينيّة، بل إنّه ناتج – برأيي–عن رؤية جواهريّة عميقة لإنسان ثائرٍ مضّحٍ من أجل مبادئه، أيّا كانت تلك المبادئ وأيّا كان ذلك الثائر.[2]

وهذا يعني أنّ التاريخ ورواته والشعراء والمؤلّفين والنادبين ومواكب العزاء المتواصلة منذ ألف عام، والظلم السياسي الذي حاق بالحسين وآله، وطبيعة الجواهري (ذي الطبع الشجي) التي تميل لكلّ ما يتسم بالحزن ويمتلئ بالوشائج، كلّ هذه المؤثّرات لم تكن الباعث الحقيقي والسبب المحرّك لعلاقة شاعرنا بالحسين، بل إنّ صورة الحسين الخالدة وهو صريع مبادئه، وطبيعة الحدث نفسه التي تتّسم بالدم والثورة، يشكلان المحرّك الرئيسي لتعظيم الحسين وتقديسه.

هذه الرؤية لم نألفها لدى شعراء الرثاء الحسيني وشعراء كربلاء من قبل، فقد اعتدنا من معظم الشعراء الذين احتلّت كربلاء عرش قصائدهم، أن ينظروا إلى الحسين كسِبط للرسول في المقام الأوّل، ويشكّل حبّهم له بالتالي جزءًا من العقيدة الإسلاميّة.

---

(١) الطُّفوف: جمع (طفّ) وهو اسم الموضع الذي جرت فيه واقعة كربلاء. وكلمة الطَّفّ تُطلَق على ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق.أنظر في ذلك: ابن منظور، ٢٠٠٣، ج.٩، ص ١٢٥.

(٢) وقد يُبرّر هذا التغير في التوجه للموضوع إلى تزامن هذه القصيدة مع رؤى جديدة ظهرت في الأوساط العربيّة، ومع تبلور الأفكار القوميّة والوطنيّة وظهور الأحزاب اليساريّة كظلال للمعسكر الاشتراكي.

وجاء الجواهري الثائر[١] يعظم الحسين وواقعة كربلاء من وجهة نظر ثوريّة، فأبرز حبّه لثورة الحسين، لأنّه يرى أنّ الثورة هدف بحدّ ذاتها. ولم يغفل الجواهري أن يعرض في قصيدته بالمزيّفين والرواة الكاذبين، فنجده يعطف على تحرّي الحقيقة في مأساة الحسين الشهيد، دحضًا لما حرّف المحرّفون، ورجّف المرجّفون، وما لعبت فيه المصالح السياسيّة بهدف تفريق صفوف الأمّة، باستغلال الطبيعة المأساويّة لمقتل الحسين:

ومحّصتُ أمـرك لـم "أرتهب" بنقل "الرواة" ولـم أُخدعِ
وقلـتُ لعـــلّ دويّ السنيــن بأصداء حادثــك المُفْجِع
وما رتّل المخلصـون الدعـاة من "مرسَلين" ومن "سجَّع"
ومن "ناثراتٍ" عليـك المســاء والصبح بالشعـر والأدمع
لعلَّ السيــاسـةَ فيما جنــتْ على لاصقٍ بك أو مدّعي
لعلّ لـذاك و "كـون" الشجـي ولوعًا بكـــلّ شـجٍ مولع
يدًا في اصطباغ حديث "الحسين" بلون أريـدَ له مُمْتـع
ولما أزحتُ طـــلاء "القـــرون" وسترَ الخداع عن المخدع
أريــدُ الحقيقــة فــي ذاتهــا بغير الطبيعـة لـم تُطبَـع
وجدتك في صـــورة لـم أرع بأعظـــم منهـا ولا أروع
وقدّسـتُ ذكـراك لـم أنتحـلْ ثياب التقـــاة ولـــم أدّع[٢]

موجة الانكسارات العربيّة واسترجاع حادثة كربلاء: "نزار قباني"[٣] نموذجًا:

---

(١) ولا ننسى أنّنا نتحدّث عن إنسان أهمّ ما يتّسم به هو العنف والغضب والتمرّد والثورة. للقراءة حول شخصية الجواهري الثائرة والمتمرّدة يراجع: علوان، د.ت، ص ٢٩٤ وما بعدها.

(٢) الجواهري، ١٩٨٢، ص ٢٦٦-٢٦٩.

(٣) نزار توفيق القباني (١٩٢٣- ١٩٩٨)، من رواد الشعر الحديث في العالم العربي. وُلد في دمشق، ودرس فيها، وتخرّج من كليّة الحقوق بالجامعة السورية عام ١٩٤٥.شغل عددًا من المناصب الدبلوماسيّة في القاهرة وبيروت وغيرها.أسّس دارًا للنشر باسمه، متفرّغا بذلك للشعر وحده.وكانت ثمرة مسيرته الشعريّة إحدى وأربعين مجموعة شعريّة ونثريّة، كانت أولاها " قالت لي السمراء " ١٩٤٤.حول حياته يُنظر: نضال، ٢٠٠٣؛ هواري، ٢٠٠٤.

نقلت هزيمة ١٩٦٧ شعر نزار قباني نقلة نوعيّة: من شعر الحبّ إلى شعر السياسة والرفض والمقاومة؛ فكانت قصيدته " وامش على دفتر النكسة " ١٩٦٧ التي كانت نقدا سياسيًا جارحا للتقصير العربي، ممّا آثار عليه غضب اليمين واليسار معا.

ما من ثورة إنسانيّة نبيلة قامت في التاريخ إلا وكان هدفها تغيير الواقع الفاسد إلى ما هو أفضل منه. لكن طريق الثائرين ليس مفروشًا بالورود، بل محاطًا بالمآسي والانتكاسات في أحيان كثيرة، ومع ذلك فالنصر حليفهم في النهاية، إن لم يكن في حياتهم فبعد مماتهم. فما أن سقط بطل كربلاء صريعًا حتّى بدأت الثورات التي دكّت عروش الظالمين، وما هي إلا عقود حتى دالت دولة الظلم والطغيان.

وقد تكاملت في واقعة كربلاء عناصر البطولة والمأساة، فمن بين الدماء والدموع، وذلّ السبي والأسر واجتراء القتلة وتطاولهم، تورق شجرة المقاومة وتتفتّح أزهار الحريّة، ويستبين طريق الخلاص.

وقد استلهم الشعراء المحدثون الرمز الكربلائي والحسيني وهم يعالجون مجريات القضيّة الفلسطينيّة وما أحاط بها من مآسٍ ونكبات، وما رافقها من غدر ومؤامرات أدّت إلى مقتل العديد من أبناء الشعب الفلسطيني، وتشريد ملايين آخرين عن وطنهم، وتوزّعهم في مخيمات بأرض الشتات، لأنّ هناك الكثير من الصور المقاربة بين ما حصل في يوم كربلاء الدامي والمجازر التي حصلت للشعب الفلسطيني.

لقد وظّف أكثر من شاعر واقعة كربلاء في قصائدهم، كنموذج ثوري حاولوا أن يطرحوها بديلا لحالة الاستكانة التي أنكروها لدى الشارع العربي. وسعى العديد من الشعراء لبناء مقاربة جراحيّة بين كربلاء وفلسطين، وهم يجدون في الواقعتَين انهزامًا للقيم العليا والحقّ التاريخي أمام قوى البغي والطغيان والجور، وكأنّ الدماء التي سالت في كربلاء كانت مقدّمة للدماء الزكيّة التي سالت في فلسطين.

ولا يخفى على أحدٍ منّا أنّ الموجة التي طغت على أجواء الشعر العربي منذ خمسينات القرن العشرين هي حرب فلسطين والأحداث التي تلتها حتّى اجتياح بيروت ١٩٨٢، ومن ضمنها موجة الانكسارات العربيّة، مرورًا بنكسة عام ١٩٦٧.

وتعبيرًا عن هذه الانكسارات يصرخ الشاعر السوري "نزار قباني" عام ١٩٦٩ في بغداد:

فجراح الحسين... بعضُ جراحي

وبصدري من الأسى كربلاء[١]

وكأنّه بصرخته تلك يعبّر عن ألمه العميق من نكسة ١٩٦٧، فنلمس من بيته الشعري كون صاحبه يعدّ هذه النكسة أكبر كارثة في تاريخ العرب الحديث، وأكثر ايلامًا حتّى من واقعة كربلاء.

---

(١) قباني، د.ت، ص ٤١.وهي قصيدة بعنوان" إفادة في محكمة الشعر" وألقيَت في مهرجان الشعر التاسع ببغداد في نيسان عام ١٩٦٩.

موجة الانكسارات العربيّة هذه جعلت الشعراء العرب يلتفتون إلى واقعة كربلاء من جديد، ويجعلونها سيّدة أشعارهم، وذلك لوجود أكثر من وشيجة قربى بينها وبين حاضرهم؛ منطلقهم في ذلك أنّ الطريق الوحيد لهذه الأمّة يكمن في الطريق الذي سلكه الحسين، وهو طريق الثورة.

نزار قباني لا يقاوم مزج كربلاء مع فلسطين، حين يعبّر في بعض أشعاره عن اللواعج التي تحتلّ كيانه في مقاومة العدوان والاحتلال، فيقول في قصيدته "السمفونيّة الجنوبيّة الخامسة":

سَمَّيتُكَ الجنوب

يا لابسا عباءةَ الحسين

وشمسَ كربلاء

يا شجرَ الوردِ الذي يحترفُ الفداء

يا ثورةَ الأرضِ التقتْ بثورةِ السماء

يا جسدا يطلعُ من ترابهِ

قمحٌ.. وأنبياء[١]

فكما يبدو فإنّ شاعرنا وجد في أفعال المقاومة بجنوب لبنان صورة مجسّدة للحسين وثورته، فرسم خطابه الثوري المباشر بلغة فنيّة معبّرًا عن القيم المعنويّة بصور ماديّة، فجعل الجنوب رجلا يرتدي عباءة الحسين، والتي تجسّد الثورة. وشمس كربلاء كانت بمثابة الشهادة والتضحية التي جعلت شجر الورد يحترف البكاء.

وتتكرّر موضوعة كربلاء مع ارتباطها بأحداث جنوب لبنان مرّة أخرى لدى شاعرنا، حين يكتب عن مجزرة قانا عام ١٩٩٦[٢] فيقول في قصيدته "راشيل وأخواتها":

وجهُ قانا..

شاحبُ اللونِ كما وجه يسوع.

وهواءُ البحر في نيسان..

أمطار دماء، ودموع...

---

(١) قبّاني، ١٩٨٣، ج.٦، ص ٦٠.

(٢) مجزرة ارتكبتها قوّات البحرية الإسرائيليّة في جنوب لبنان في النصف الأوّل من عام ١٩٩٦، حيث قصفت القوّات الجويّة الإسرائيلية بلدة قانا في جنوب لبنان، وقتلت ١٠٦ مدنيّين لبنانيّين وإصابة أكثر من ١١٠ مدنيّين، أكثرهم من النساء والأطفال و العجائز، الذين لجأوا إلى ملجأ منظمة الأمم المتحدة.

دخلوا قانا .. كأفواج ذئاب جائعة..
يشعلون النار في بيت المسيح..
ويدوسون على ثوب الحسين..
وعلى أرض الجنوب الغالية..

...ورأينا الدمع في جفن على.
وسمعنا صوته وهو يصلي
تحت أمطار سماء دامية...

كلّ من يكتب عن تاريخ (قانا)
سيسمّيها على أوراقه:
(كربلاء الثانية) .[1]. ! !

لقد وضع قباني طرفي المعادلة: مذبحة قانا موازية لمذبحة كربلاء، مستفيدًا من الولاء العقائدي الحسيني الذي آمن به هؤلاء الشهداء فشبّههم بأحبّ شيء إليهم وهو كربلاء. ويبدو أنّ الشاعر أراد أن يشدّد على أنّ الانتصار المعنوي التاريخي الذي حقّقه الحسين والذي تزيده السنوات رسوخًا هو ما سيحصل لشهداء قانا كلما مرّ الزمن.
وتبرز موضوعة كربلاء جلية في قصيدته " لماذا يسقط مُتعب بن تعبان في امتحان حقوق الانسان؟"

مواطنون .. دونما وطن
مطاردون كالعصافير على خرائط الزمن
مسافرون دون أوراق
وموتى دونما كفن
نحن بغايا العصر.. كلّ حاكم يبيعنا، ويقبض الثمن[2]!!

ويقول في موقع آخر في نفس القصيدة:

مواطنون نحن في مدائن البكاء
قهوتنا مصنوعة من دم كربلاء

---

(١) أنظر الموقع: http://www.servant13.net/zagal/zagal18.htm
(٢) قباني، ١٩٨٣، ج.٦، ص ١٠٠.

حنطتنا معجونة بلحم كربلاء
طعامنا، شرابنا
عاداتنا، راياتنا
صيامنا، صلاتنا
زهورنا، قبورنا
جلودنا مختومة بختم كربلاء[١].

فنراه يلج إلى بوابة كربلاء جاعلا من الحزن والبكاء الأبدي لوحة أساسيّة في قصيدته، مستشهدًا بمأساة كربلاء التي شكّلت النسيج الأساسي في حياتنا فغرق كلّ شيء فيها بالدموع والأسى.

القصيدة الكربلائيّة/الفلسطينيّة: "أحمد دحبور"[٢] نموذجًا:
يوظّف الشاعر الفلسطيني أحمد دحبور في قصيدته "العودة إلى كربلاء"[٣] موضوعة كربلاء، المستندة إلى آلية مقتل الحسين في كربلاء، فيستنطق دواخله على أعتاب كربلاء (المدينة) وهي تلبس الواقعة التاريخيّة في ذاكرة مشرّد فلسطيني يستعيد من خلالها كلّ ما لقيه شعبه من عَنَت الاحتلال وخذلان الأخوة، يقول في مستهلّ القصيدة:
آت، ويسبقني هواي[٤]

---

(١) قبّاني، ١٩٨٣، ج.٦، ص ١٠٣. وكأنّ دائرة كربلاء في هذه الأبيات اتّسعت لتبسط ظلالها على العرب جميعًا في عصرنا الراهن، جراء تشتتهم وتباعدها.
(٢) شاعر فلسطيني ولد في حيفا ١٩٤٦. هاجرت عائلته إلى لبنان عام ١٩٤٨ ثمّ إلى سورية، يقيم حاليا في غزة. حاز على جائزة توفيق زياد في الشعر عام ١٩٩٨ عن ديوانه "من هنا وهناك" الذي وصف أنّه صورة جديدة ولكنّها غير بعيدة عن الواقع وغير مغدقة في التجريد.صدر للشاعر دواوين عديدة منها حكاية "الولد الفلسطيني"، "اختلاط الليل والنهار"،"طائر الوحدات"، " واحد وعشرون بحراً ".يُنظر: الآغا، ١٩٩٨.
(٣) نلاحظ أن العنوان (العودة إلى كربلاء) يوطّد علاقة قديمة بين الشاعر وبين كربلاء، فهو قد اختار عنوانًا يوحي بعلاقة ماضية يعاود الشاعر خلقها من خلال تعبيره "العودة على.."
(٤) يستهل الشاعر قصيدته بمدخل مكاني، حيث يصرّح أنّه قادم إلى كربلاء يسبقه حبّه إليها.

آت، وتسبقني يداي[١]
آت على عطشي، وفي زوّادتي، ثمر النخيل
فليخرج الماء الدفين إليّ، وليكن الدليل[٢]
يا كربلاء تلمسي وجهي بمائك، تكشفي عطش القتيل[٣]
وترَي على جرح الجبين أمانة تملي خطاي[٤]

إنّ هذا الفلسطيني الذي أثخنته الجراح وأضناه العطش لا يجد من يروي ظمأه ويداوي جراحه إلا الشهداء الذين قضوا عطاشى، ودماؤهم الطاهرة التي سفحت في أرض كربلاء، فيعود إليها كالعاشق الولهان يحث الخطى وهواه يسبقه في محاولة للتوحّد مع من يحب.أعوام من القهر يطويها للوصول إلى نبع الشهادة بعد أن كان ذلك الوصول ضربًا من المعجزات.

يستحضرُ الشاعر في الأبيات السابقة مأساة الحسين وينادي كربلاء الروح، وبهاء الموت الذي هواه وأحبه، فجاء إليه رغبة في التطهّر والفداء للاقتراب من لحظة الحقيقة التي تملي عليه خطاه، وهذه المأساة تشكل معادلاً دلاليًا للإنسان الفلسطيني " الذي ووجه بالخذلان، وأدخل إلى نار المذبحة، وفار دمه ودم أهله، كما فار دم الحسين وأهله في كربلاء. إنّ الرمز هنا لكربلاء الفلسطينيّين: الأسى والعطش والحصار والغضب والمأساة.. إنّه البحث عن ماء في زمن العطش، لقد وصل إلى كربلاء رغم الطرق المغلقة، ورغم مشقّة الطريق آملاً أن تكون

---

(١) وتفسيرها عندي أنّ شاعرنا يعلن أنّ أفعاله مُطابقة لنهج كربلاء بعد أن طابقه هواه؛ فهو عطش أيضًا –كما كان الحسين ومن معه–لكنّه يحمل تمرًا، والذي يرمز برأيي لمفهوم التقشّف والقناعة بأقلّ القليل من متاع الدنيا.

(٢) نلاحظ من هذا البيت أنّ الشاعر كأنّه يتعمّد أن يتجاهل وجود الفرات لشرب الماء، ويطلب من أرض كربلاء ماءً دفينًا في جوفها يكون دليله إلى سدّ عطشه الروحي قبل عطشه الجسماني. وربما نفسّر تجاهله للفرات كونه استعصى على الحسين في واقعة كربلاء حتّى قضى عطشًا، ولم يرد الشاعر أن يأخذ ما لم يأخذه الحسين.

(٣) نلمس في هذا البيت الصورة الفنية الاستعاريّة التي يرسمها الشاعر حين يطلب من كربلاء أن تتلمّس وجهه بمائها، فجعل الماء بمثابة يد المدينة أو الواقعة نفسها، والتي تكشف عن عطش الشاعر الشبيه بعطش القتيل، ولتبصر جرحًا على جبينه والذي يعكس أمانة تقود خُطى الشاعر إلى رؤيته.وربما يقصد ب"جرح الجبين" تلك الجروح التي يُحدثها من يحيي ذكرى الحسين في عاشوراء تعبيرًا عن مشاركته للحسين في آلامه، وتعبيرًا عن انتمائه إلى ثورته.

(٤) دحبور، ١٩٨٣، ص ٢٥٧.

البداية، ووجد الحسين نفسه وحيدًا في المواجهة، بينما تقاسم الآخرون أسرارهم وثمر النخيل. إنّهم الذين خذلوا الفلسطيني المعاصر"[١].

ويرى الدكتور خالد الكَركِي أنّ "حضور الرمز هنا استدعاء مباشر ليقول من خلاله ما يريد، وهو رمز لا يحتاج إلى بناء مركب في مثل هذا النصّ المباشر أيضا، أي الذي يريد صاحبه الاحتجاج من خلاله على القتل، ويريد أيضًا أن يتحوّل الدم . كما تحول دم الحسين . إلى محرّض، ودعوة لثورة مستمرّة، لخروج الماء من أرض كربلاء لتروي عطش الحسين"[٢]:

آتٍ على عطش وفي زوادتي ثمر النخيل

فليخرج الماء الدفين إليّ.. وليكن الدليل..

بذلك تكون الذاكرة البشريّة قادرة على استعادة مآسي التاريخ الجارحة، وجعلها صورة من صور العصر الذي تطبّق فيه شريعة الغاب، حيث الفلسطيني الذي فُرِضَ عليه الموت ليحيا، كما فُرِضَ الموت على الحسين ليحيا، ويتحوّل إلى "بطل التراجيديا"، وليس مجرّد "بطل التاريخ"، كما أصبح موته علامة وجوده المستمرّ.

وبذلك يصبح الحسين فاعلا في الزمان والمكان، ويمتلك ديمومة الحضور، وصيرورة الوجود، وخاصّة بعد رفضه الاستسلام رغم تخلّي أشياعه عنه، ورفضه مبايعة يزيد بن معاوية مقابل شربة من الماء تحييه، فاختار الموت بنفس راضية، وهذا ما يوحي إليه الشاعر في البيتين الثالث والخامس.

ثم ينظر الشاعر في مرآة كربلاء فيرى تاريخ وطنه السليب ومآسيه، فيقول:

لا تسألي وجهي الجديد عن الأحبّة

كانوا رعاة بالثياب وكانت الأسرار ذئبة

كنّا تبايعنا على موت يقيلك من عذاب الموت

في الأسر الطويل

فتقاسموا ثمر النخيل، ولم يمت أحد سواي

(١) الكركي، ١٩٨٩، ص ١٨٩.

(٢) المصدر السابق، ص ١٩٠.

شاهدتهم، ومعي شهودي:

أنتِ، والماء الذي يغدو دمًا

ودم لديهم صار ماءْ

والنخيل

شاهدتهم . عين المخيم فيّ لا تخطئ . وكانوا:

تاجرًا، ومقامرًا، ومقنعًا، كانوا دنانير النخيل[1]**!**

ثمّ يعترف الشاعر أنّه بقي وحيدًا يصارع الموت والمذابح والغربة والتشتّت:

ودخلت في موتي وحيداً أستحيل

وطناً، فمذبحة، فغربة..

يا كربلاء، تفور فيّ النار،

أذكر كيف تنقلب الوجوه..[2]

وبعدها ينتقل الشاعر إلى تلمّس أوجه التشابه في الظروف التي أحاطت بالحسين وأصحابه المخلصين، وكيف أن من بايعوه على الموت دونه قد غدروا به لقاء ثمن بخس ووعود لم يتحقق منها شيء، وهو نفس ما حدث للشعب الفلسطيني الذي تعرّض لمؤامرات داخليّة وخارجيّة لقاء أثمان معلومة، يشخصها ويعرفها أبناء المخيّمات(كانوا دنانير الدخيل)! فكان ما كان من ضياع الوطن، وقيام المذابح، والاغتراب والنفي في شتّى أقطار الأرض، فلا يجد الشاعر بدًا من العودة إلى نهر الدم الجاري في كربلاء ليبثه همومه وأحزانه:

يا كربلاء تغز فيّ النار،

أذكر كيف تنقلب الوجوه

عرفوا الغريم وأمسكوه

ويقال: كان يخب في لحمي ويشرب من دماي

غصبوا عليه طوال ساعات احتضاري

ثمّ مت فتّوجوه

وتبادلوا رأسي، فلم يركب على عنقٍ،

---

(١) دحبور، ١٩٨٣، ص ٢٥٨-٢٥٩. يبدو جليّا من خلال هذه الأبيات تداخل كربلاء بفلسطين عند الشاعر، الذي يستشهد بالماء الذي اصطبغ بدم الشهداء، ودم الحكام الذي صار ماءً وتنكّروا له، والنخيل رمز بقاء الأمّ، كلّهم كانوا مع الشاعر يرون بعين المخيم عين المعاناة والقهر والحرمان التي لا تخطئ الحكام وقد تحوّلوا إلى تجار ومقامرين ومزيفين.

(٢) دحبور، ١٩٨٣، ص ٢٥٩.

وعاد إلي بالجرح النبيلْ
وأعود،
لن يتصدّروا باسمي،
فجرحي جاء ينكرهم،
وتنكر ما استباحوا مقلتاي
وإذا حسبت حسبتهم في صفّ غاصبك
الدخيلْ
يا كربلاء الذبح، والفرح المبيّت،
والمخيم، والمحبّة
كلّ الوجوه تكشّفت كلّ الوجوه،
ورأيت:كأنّ السيفّ في كفّي،
وكنت لنظرة الفقراء كعبة
ورأيت من باعوك، باعونا معا
وتقاسمونا في المزاد فما انقسمنا،
كنت فيك النهر،
والتحمتْ بعشبِك ضفتاي
وقتلت فيك –كما رأيت– أنا هو النهر القتيلُ
فليخرجِ الماءُ الدفينُ إلي وليكن الدليل!(١)

يلتحم الشاعر بالرمز الحسيني ويجعله مفتاحًا لفهم مجريات الواقع الفلسطيني والعربي المعاصر. فرأس الحسين هو رأس الثورة الجديدة التي بيعت في مزاد المصالح والمؤامرات الدوليّة، والذين تاجروا باسم الشعب وتواطئوا مع الغاصب المحتل يرفضهم الشاعر وجراحه النازفة، وترفضهم كربلاء مخيّمات اللاجئين التي تنكشف أمامها الوجوه وتسقط أقنعة الزيف، وتبقى كربلاء كعبة للفقراء، تلتحم الضفتان بعشبها، وتتوحّدان في المصير، ولذا يمتاح الشاعر من مائها المشرب بالحمرة ليكون دليله في سفره الطويل، ثمّ يستمر:

يا كربلاء وأنت جارحة وصعبة
آتيك بالفرح الجريء،
وما حسبت الحرب لعبة
آتٍ ولو كره السعاة إلى الخيول،

(١) دحبور، ١٩٨٣، ص ٢٦٠.

بلا فوارس،
والسيوف بلا صليل
أودعتهم موتي وأرّخت الحياة لكلّ جيل
هذا زمان يكبر الفقراء فيه فيَقتلون ويُقتلون
هذا زمان للبطولة،
أو –لمن شاء– الجنون
هذا زماني، فاشهدي–
جسدي يردّ إليك حربة
ولديك ذاكرتي افتحيها تغلقي زمن العويل:
ليس الوصول إليك معجزة،
وكنت خطوت فانهدم الجدار المستحيل
وظهرت فاتّسعت خطاي
وأنا هنا فرحي معي، ومعي الهدايا والشجون
آتٍ ويسبقني هواي
آتٍ وتسبقني يداي
آتٍ على عطشي وفي زوادتي ثمر النخيلْ
فليخرج الماء الدفين إليّ، وليكن الدليلْ

نخلص للقول إنّ أبيات القصيدة السابقة تُظهر محاولة جادّة للدخول في رحم التجربة الكربلائيّة. وعلى الرغم من أنّ دحبور لم يدخل لموضوعة كربلاء من بوابة الجانب الإسلامي والديني (كما اعتدنا) بل تناول جانب كربلاء الثائرة وتجلّيات الواقعة في قلوب وضمائر الناس، وارتباط الثوار بها وبالحسين على مرّ العصور والأزمان، إلا أنّ هذا التناول لا يلغي توظيفه لموضوعة كربلاء في قصيدة متماسكة تطرح رؤية قديمة–مُعاصرة لا تُبلى، رؤية أراد الشاعر كما يبدو إعادة إحيائها وتجليتها وإزالة الغبار عنها لحاجة العرب الماسّة إليها في زمن هزيمتهم الراهن. وأقصد بها رؤية الثوار الشهداء.

القصيدة الكربلائيّة الداعية للثورة والمُتَّسمة ببراعم التّمرد: "مظفر النوّاب"[١] نموذجًا:

يُعتبر الشاعر العراقي "مظفّر النوّاب" أحد مجدّدي الشعر الشعبي العراقي، لكنّه برع في الشعر الفصيح أيضًا، واشتُهر بنقده الشديد للأوضاع السياسيّة في العراق والعالم العربي فحقّق حضورًا جماهيريًّا عربيًّا واسعًا، رغم أنّ أشعاره ممنوعة في أكثر الأقطار العربيّة.

نراه في إحدى قصائده وهو يستلهم وقفة الحسين البطوليّة في كربلاء ليحوّلها إلى قيمة مطلقة للشهادة في سبيل الحقّ، وذلك من خلال حوار ذاتي ومناجاة مع رأس الحسين الذي رفعه القَتَلة فوق الرماح، وطافوا به في البلدان إمعانًا في الجريمة، وتحدّيًا سافرًا لمشاعر المسلمين:

وكم أنت تشبه رأس الحسين
الذي فوق رمح
ولا يستريح
تأبى الذوائب
مذ ثبتتها الدماء على غرة
أن تزيح
ومن ثبتته الدماء
محال يزيح[٢]

---

(١) مظفّر عبد المجيد النوّاب شاعر عراقي معاصر، ولد في بغداد عام ١٩٣٤ من أسرة ثريّة مهتمّة بالفنّ والأدب ولكن والده تعرض إلى هزّة ماليّة أفقدته ثروته. تابع دراسته في كليّة الآداب ببغداد وبعد انهيار النظام الملكي في العراق عام ١٩٥٨ تمّ تعيينه مفتشًا فنيًا بوزارة التربية في بغداد.

في عام ١٩٦٣ اضطر لمغادرة العراق، بعد اشتداد التنافس بين القوميّين والشيوعيّين الذين تعرّضوا إلى الملاحقة والمراقبة الشديدة من قبل النظام الحاكم، ثمّ تمّ القبض عليه وحُكِم بالسجن المؤبّد.في هذا السجن قام مظفّر النوّاب ومجموعة من السجناء بحفر نفق من الزنزانة يؤدّي إلى خارج أسوار السجن، وبعد هروبه المثير من السجن توارى عن الأنظار في بغداد، وظلّ مختفيا فيها ثمّ توجه إلى الجنوب، وعاش مع الفلاحين والبسطاء حوالي سنة. وفي عام ١٩٦٩ صدر عفو عن المعارضين فرجع إلى سلك التعليم مرّة ثانية. راح ينتقل بين العواصم العربيّة والأوروبيّة، واستقر به المقام أخيرًا في دمشق.أنظر: الأسطة، ١٩٩٩؛ الحصني، ١٩٩٦.

(٢) النوّاب، ٢٠٠١، ص٢٥٢.

كما ونلمس إصرار مظفّر على أنّه ما من سبيل للأمّة العربيّة إلا الثورة، وان الحسين لا يعني إلا الثورة[١]. بل نجده يذهب في إحدى قصائده إلى أبعد من ذلك حين يفترض أنّ الحسين إذا ما رأى نتائج الهزائم العربيّة على جسد المجتمع العربي، ولا سيّما أطفاله، فإنّه سيُنكر مأساته لوجود مآسٍ أخرى شبيهة وقد يثور مرّة أخرى. يقول:

وامقتُ... أمقتُ من يُشهرون الحسين
لغير الوصول إلى ثورة
مثلما جوهر الأمر فيه وإلا جنوح
لعلّ الحسين إذا ما رأى طفلة في شوارع بيروت
تنهش من لحمها الشهوات
وثمّ شظايا من القصف فيها
سيُنكر مأساته والجروح على رئتيه تقيح
يقولون من أمّها وأبوها؟
فقلتُ الجنوب وتاريخه والبيوت الصفيح[٢]!

لقد عمد شاعرنا –وبشكل بارز–إلى توظيف شخصيّات تحمل عبق التراث في نصوصه الشعريّة، والتي تتّسم بكونها نماذج ثائرة تحمل براعم التمرّد ورفض الواقع[٣]، مُحاولا –كما يبدو لي– أن يخلق أو يطرح بديلا لحالة الاستكانة التي تُغرق الشارع العربي وتغزو قاطنيه.
فنجده مثلا يوظّف رمز شخصيّة "عليّ" مستفيدًا من الصورة التاريخية لأحداث كربلاء وشخوصها بأبيات شعرية تفوح منها رائحة الغضب العنيف "يزيد" في قصيدته "وتريات ليلية/الحركة الاولى":

ماذا يقدح في الغيب؟
أسيفُ عليّ!!
قتلتنا الردة يا مولاي كما قتلتك بجرح في الغرّة
هذا رأس الثورة، يحمل في طبق في قصر "يزيد"
وهذه "البقعة" أكثر من يوم سباياك
فيا لله وللحكام ورأس الثورة
هل عربٌ أنتم؟!!

(١) وهو يقترب بنظرته هذه إلى نظرة نزار قبّاني كما ذكرنا من قبل.
(٢) النوّاب، ٢٠٠١، ص ٢٢١.
(٣) من هذه الشخصيّات: الحسين، علي، أبو ذَرّ الغِفاري، الحسين الأهوازي.

و"يزيد" على الشرفةِ يستعرضُ أعراضَ عراياكم
ويوزعهنّ كلحمِ الضأنِ، لجيشِ الردّةِ؟!!
هلْ عربٌ أنتم...
واللهِ أنا في شكٍّ من بغداد إلى جدّة[١]!

وفي مكان آخر يصوّر النوّاب مأساة اللاجئين الفلسطينيّين مستعيناً بالرمز الكربلائي، مقارنا بين رحلة سبايا البيت النبويّ الذين ساقهم الجلادون من الكوفة إلى الشام يتقدّمهم رأس الحسين وبقية الشهداء، ورحلة لجنازة طفل فلسطيني من اللاجئين فيقول في قصيدة "عروس السفائن":

لقد كنت أحلم وعيًا
وعلى حلم بالذي سوف يأتي وفاء
ومرّت جنازة طفل ..على حلمي بالعشي
يراد بها ظاهر الشامّ
قلت: أثانية كربلاء؟
فقالوا: من اللاجئين![٢]

هذه النصوص لشاعرنا تحمل بين طياتها انهيار وتداعي الواقع العربي، معتمدةً على اشتعال ايقاعها غضبًا، مستعينةً برموز الرفض والتمرّد والثورة، التي تستلهمها من تراثنا العربي الإسلامي، الثائرين الغاضبين الطامحين للتغيير.

القصيدة الكربلائية من منظور فلسفي: "مصطفى جمال الدين"[٣] نموذجًا:

---

(١) النوّاب، ٢٠٠١، ص ٢٤٦-٢٤٧.
(٢) النوّاب، ٢٠٠١، ص ٤٣١.
(٣) هو شاعر عراقي ولد لأسرة من الأسر العلميّة الدينيّة المعروفة التي تخرّج منها الكثير من العلماء سنة ١٩٢٧م/١٣٤٦هـ في إحدى القرى التابعة لمدينة الناصريّة جنوب العراق. ثمّ هاجر إلى النجَف لدراسة العلوم الدينيّة، وعرف بين زملائه بالنبوغ المبكر والذكاء الحاد، وعُيِّن معيدا في كليّة الفقه في النّجف. حاز على الماجستير في الشريعة الإسلاميّة. وعُين أستاذا في كلية الآداب بجامعة بغداد. وبعد ذلك حاز على شهادة الدكتوراه من قسم اللغة العربيّة.
كان جمال الدين شاعرًا مطبوعًا، كتب شعره مبكرًا. وقد دفع به شغفه بالشعر للتعرّف على شعراء العراق المعاصرين، أمثال: السيَّاب، والبياتي، والجواهري، لكنّه كان للجواهري أقرب.

في قصيدته "أبا الشهداء" يفلسف الشاعر الشّيعي مصطفى جمال الدين عقيدته وتشيّعه للحسين، فهما نَبَعا في أعماقه، لا لأنّه قد ورثَ محبّة الحسين عن أبيه وأجداده، بل لأنّه طريق رحب لدعاة الكبرياء والحريّة والانعتاق. يقول:

أنا لستُ شيعيًّا، لأنّ على فمي ذكرَ الحسينِ أُعيدُ فيه وأُطنبُ
ولأنّ في قلبـــي عُصارة لَوْعةٍ لأساةُ تذكرها العيــونُ فتسكُبُ
ولأنّ أمّـــي أرضعتنـــي حُبَّـــه ولأنـه لأبــي وجــدّي مذهــبُ
لكنّني أهوى الحسيــنَ لأنّــه للسالكينَ طريقُ خيرٍ أرحــــبُ
وأحبّــهُ لعقيـدة يفنـــى لهـــا إنْ ديسَ جانبُها.. ودينٍ يَغْضَبُ
ودمٍ يُريــقُ لأنـه يغــذو بـــه جوعَ الضمائر إذْ تجـفُّ فتُجدِب
أأكون شيعتـه وقد أخذ الهوى قلبي بغيــرِ طريقِــهِ يتنكّــبُ
أأكــون شيعتــه إذا لاقيتــه وأنـا لــروحِ (يزيـدَ) منه أقرَبُ(١)

وتتمثّل النظرة الجديدة لدى شاعرنا بتأكيده على الانتماء للحسين من خلال تتبّع خطاه والسير على هداه ودربه، وليس من خلال الولاء السلبي له، والبكاء عليه في الوقت التي تكون الأفعال فيها أقرب إلى يزيد منها إلى الحسين.

وهكذا، نستشفّ من الأبيات السابقة دعوة الشاعر لجعل روح الحسين ومبادئه هي التي تخلق الانتماء إليه، لا لوعة المحبّ غير المقرونة بالعمل الجهادي المماثل.

إنّ الرمز الحسيني يمتد فوق الزمان بنبضاته الخلاقة، فهو تجسيد لصراع الحق مع الباطل، هذا الصراع الذي لا ينتهي ولا يحسم إلا بنهاية انتظارنا بمقدم وارث الخطّ الإلهي. ولأنّ المأساة الحُسينيّة لم تشفِ غليلها بعد، فلا بدّ للانفعالات والعواطف والمحبّة الموالية أن ترفد الجانب الوجداني للولاء، بنتاجاتها التي تستوحي من الملحمة العظيمة كلّ محرّك للضمائر، ومهيج للهمم ومدرء للدموع العاشقة كما في قصيدة شاعرنا:

ذِكراكَ تَنطفئُ السِّنيــنُ وتغــرُبُ وَلَها علــى كَفِّ الخُلــود تَلَهُّبُ
لا الظُّلم يَلوي من طِماح ضَرامِهَا أبداً وَلا حِقدُ الضَّمَائِــرِ يحجُــبُ
ذِكرى البُطولـــةِ لَيلُهـــا كَنَهارِهَا ضَاحٍ تَؤُجُّ بـــه الدمَاءُ وتلهَــبُ

يمتاز شعره بالمزج بين الشعور الوطني والغزل.توفي عام ١٤١٦هـ إثر مرض عُضال أَلَمَّ بـه، ودُفِن في دمشق.

(١) جمال الدين، ١٩٩٥، ص ٥٠٧-٥٠٨.

ذِكرى العقيــدة لــم يَنُؤْ مَتنٌ لها بالحَادثَاتِ ولم يَخُنْهَــا منكَــبُ
ذِكرى الإباء يَــرى المنيَّةَ مَــاؤُهَا أَصْفَى مِنَ النَّبع الذَّلِيلِ وَأَعذَبُ
ذِكراكَ مدرســـةُ الَّذيــنَ تَعرَّضُـوا للسوط يَحكُم في الشُّعوب فَأُرعِبُوا
ومحجَّة الشُّهَداء يخشاهم – وَهُم صَرعىً بِهِ – السِّيفُ اللَّئيمُ ويَرهَبُ
مَــولاي دَربُ الخَالِـــدِين مُنَوَّرٌ بِالذِّكرَياتِ الغرِّ سَمْــحٌ مُخْصَــبُ
تَهفُو لِرَوعتِـــهِ المُنَــى لكنَّــه مِمَّا يُحيط بـــه الفجائِــعُ مُتعَبُ[1]

(١) جمال الدين، ١٩٩٥، ص ٥١١-٥١٢.

الخاتمـــــة

لم تكن كربلاء معركة عسكريّة انتهت فصولها يوم العاشر من المحرم عام ٦١ للهجرة فحسب، بل كانت منعطفًا خطيرًا حرّك الكثير من الأحداث التالية في حياة المسلمين وما زال، لذلك بقيت الذاكرة المسلمة، والشيعيّة بشكل خاصّ، تستحضر هذا اليوم بمزيد الحزن والألم والحسرة، وبقيت كربلاء جارحة وصعبة.

تقصّى البحث أثر معركة كربلاء في الشعر العربي الحديث، بالدرس والتحليل عند رواد الإحياء والنهضة الأدبيّة الحديثة –وبخاصّة في العراق– كالسيّاب والجواهري.

وقدّم البحث نماذج متنوّعة لقصائد وظّفت كربلاء ومأساة الحسين وأهله في محاولات من الشعراء للتعبير بها عن أبعاد مأساة العربي المحاصر: بين حدّي الظمأ إلى الحريّة والتقدم، وقيد السلطة وظلم الحكّام.

إنّ كربلاء وشعرها يشكّلان رافدًا كبيرًا في الأدب العربي، ولا يمكن التقليل من أهميّتهما إلا إذا ألغينا عشرات من شعرائنا الكبار وأهملنا أجزاء رئيسة من نصوص ديوان الشعر العربي، ومن هنا كانت دراسة هذا الأدب لأهداف علميّة بحثيّة.

ولذا حاولت هذه الدراسة تحرّي مكامن القوّة والضعف في النصوص التي طرحتها كنماذج بعيدًا عن شخصيّات أصحابها ومكانتهم الدينيّة أو الدنيويّة.

ويمكن القول إنّ هذه الدراسة اجتهدت في قراءة النصوص وأصحابها وقدّمت تحليلا ممنهجًا لها آخذة بعين الاعتبار خصوصيّة الموضوع وظروف الشعراء، وفضاء الحريّة المُتاحة للتعبير عنه في بعض الأقطار العربيّة.

ولا بدّ من القول إنّ الدراسة قادتنا إلى التسليم بأنّ الكثير من الشعراء وجدوا وشائج متينة بين حياتهم وحياة أمّتهم وبين الحسين وثورته، فكأنّ الظلم الذي وقع عليهم امتداد للظلم الذي وقع عليه، ولذا فإنّهم يستعيدون واقعة كربلاء وكأنّها زادهم اليومي، فلا يطوون صفحاتها ولا يملّون من التذكير بما جرى فيها.

كما وتوصّل البحث في أنماط التوظيف الكربلائي إلى عدّة نتائج أهمها:

١. أنّ القصائد الكربلائية والمراثي الحسينية لم تقتصر على شعراء الشيعة وحدهم، فثمّة مراثٍ لشعراء من المذاهب الإسلاميّة المختلفة وحتّى من شعراء غير مسلمين، الذين يروْنَ في الحسين إرثا إنسانيًا عامًا، يُقصد لذاته وتتجلّى فيه صفات التقديس والطهارة.

٢. إنّ مجمل النصوص التي اطّلعت عليها الدراسة تنتمي إلى إحدى الرؤى التالية:

الأولى: رؤية تكتفي بالجانب الظاهر من رمز كربلاء، وهو جانب الحزن والمأساة دون أن تسبر أغوار الواقعة وشحناتها الداخليّة، وهذا التوظيف لا يشعر المتلقّي بتداخل الرمز

الكربلائي مع النصّ، بل هو مُعطى جديد يجاور النصّ دون أن يمنحه نفسه بل يحافظ كل فيه على استقلاله.

الثانية: رؤية تتأرجح بين التوظيف التقليدي ومحاولة الاستفادة من الأبعاد الداخليّة للرمز الكربلائي. وبرزت هذه الرؤية بشكل خاصّ عند الشعراء الذين دخلوا للموضوعة الكربلائيّة من بوابة القضيّة الفلسطينيّة، خصوصًا تلك النصوص التي كتبت بعد هزيمة حرب حزيران عام ١٩٦٧.

الثالثة: رؤية تتساق مع الموضوعة الكربلائيّة بكلّ مؤثراتها، وامتازت نصوصها بالاعتماد على عمق الإحساس الذي تمنحه كربلاء للمتلقّي، مع محاولة دمجها بالمقوّمات الجمالية الأخرى، للابتعاد عن الترهّل في المبنى الشعري.

٣. إن محاولة تقصّي الحضور الكربلائي في مجمل الشعر العربي الحديث تبدو محاولة شاقّة أمام العدد الهائل والمتعدّد البيئات والأهواء للشعراء. إلا أنّ المشترك لجميع هؤلاء سعيهم لترميز الواقعة وشخصياتها، فصاروا يقرنون (الحسين) بالثورة والإباء والشهادة، كما وصاروا يقرنون (يزيد) بالطغيان واغتصاب الحقّ من أهله.

٤. في الشعر العربي المعاصر أصبح توظيف كربلاء والشخصّية الحسينيّة التراثيّة يأخذ منحىً جديدا، وهو المنحى التعبيري الذي يحمل بُعدا من أبعاد تجربة الشعر المعاصر. بمعنى أنّ تلك الشخصيّة تصبح وسيلة تعبير وإيماء في يد الشاعر يعبّر من خلالها أو بها عن رؤياه المعاصرة. وهذا التوظيف للشخصيّة التراثيّة هو آخر الوشائج في علاقة الشاعر المعاصر بموروثه، وأصبحت ظاهرة التوظيف هذه شائعة في شعرنا المعاصر وسِمة بارزة فيه.

٥. لا يقف الشاعر الكربلائي الحديث عند تصوير الواقعة التاريخيّة وأحداثها المأساويّة فحسب، لكنّه يتجاوز ذلك إلى بثّ مضامين معاصرة، ويتناول واقعة كربلاء برؤى حداثوية وأسلوب حواريّ، تجعل المتلقّي يقف أمام حقيقة الصراع بين معسكر الحقّ والباطل.

ولذلك تحضر (فلسطين) لتجسيد هذا الموقف النفسي الفاجع الذي يدين العصر وشخصيّاته، ويؤكّد رفض قتامة الحياة العربيّة المعاصرة وتلاشي حدّتها. فالشاعر الحديث يستضيء بيوم كربلاء لتشخيص يومه الحاضر، فيرى وجه تشابه بين الاثنين من حيث اشتداد الظلم والقهر، وغياب العدل والإنصاف، ثمّ ينطلق بعد ذلك لتناول الواقع السياسي الراهن.

وبما أنّ (الحسين) كان صاحب قضيتَيْن: سياسيّة، وأخلاقيّة ضدّ الفساد الذي استشرى في المجتمع الأمويّ، فقد تسابق الشعراء، ومنهم الشعراء الفلسطينيّون، في تصوير هذه الشخصيّة باعتبارها صاحبة قضيّة إنسانيّة كبرى تتّسم بالأخلاق النبيلة، وترفض الواقع، وتقف وحيدة في أرض المعركة بعد أن تقاعس أشياعها عن نصرتها والدفاع عن مبادئها النبيلة، وهي صورة تاريخية يمكن اعتبارها معادلا دلاليا لسلبيّة الأمّة، وتخاذلها عن نصرة الحقّ والخير في

العصر الحاضر.حيث تبرز كربلاء في القصائد الحديثة باعتبارها رمزًا من رموز الدم العربي النازف في جسد العراق حتّى اليوم.

وقد وجدنا أنّ عمليّة الربط التاريخي والإبداعي بين كربلاء وبين الانكسارات العربيّة كنكسة ١٩٦٧، ونكبة فلسطين، يعكس ارتباطًا داخليًّا لدى الشاعر بين الحوادث الجسام التي شهدتها الأمّة عبر تاريخها، وهي في الوقت نفسه عمليّة استنهاض لعزائم الناس لمحاربة اليهودي المحتلّ اقتداءً بسيرة الحسين.

ويعدّ الشاعر أعداء الحسين في كربلاء هم أعداء فلسطين اليوم، وإن كان الانتماء مختلفا بينهما لكنّهما في الحالَين مغتصبان للحقوق ومعتديان على أهل الفضل وأصحاب المبادئ.

وقد تبيّن لنا أنّ زمن القصّ لواقعة كربلاء قد تجلّى للشعراء متألّقا من خلال أبعاده التكوينيّة ودلالاته القيميّة ليضارع الحدث الماضي باعتباره شهادة الحاضر على الغائب، في أرضيّة يستحضر فيها جملة من العوامل والمؤثرات السببيّة لثورة ناصعة في سماء الدهر وأفق التاريخ مرسخة في الضمير الجمعي فاعلية القيم السماويّة التي أريد طمسها والتجاوز عليها عبر مواراتها تحت سلطنة التزييف والتحريف.

٦. لقد استلهم الأدباء والشعراء العظات الكثيرة من هذه الثورة الكربلائيّة. وهدفوا إلي تبيان حقيقة واحدة هي: إمّا العيش بحريّة وكرامة وسط مجتمع يسوده العدل ويتمسّك بمبادئ الإسلام وقيمه. وإمّا التضحية بالنفس من أجل الحريّة والكرامة والعدل والتمسّك بمبادئ الإسلام وقيَمِه. وهذه الحقيقة برزت بشكل واضح بين ثنايا أشعارهم.

نخلص ممّا سبق، أنّ الرمز الكربلائي قد أصبح في الزمن المعاصر أنشودة ثوريّة تردّدها الشعوب الظامئة إلى لون الحرية والعقيدة الإسلاميّة، فالحسين لم يقف فترة زمنيّة عابرة، وإنّما موقفًا خالدًا.

وقد اتّضح لنا أن الرمز الحسيني الكربلائي ببكائيّته الحادّة يشكّل همًّا بارزًا من هموم الشعر العربي القديم والمعاصر، السنّي والشيعي. ممّا جعل الشعراء والأدباء يتناولون كربلاء كرمز تأريخي في أغلب نتاجاتهم.

ثبت المصادر

- ابن الجوزي، ١٩٧٠-أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، التبصرة، القاهرة: عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٧٠.
- ابن كثير، ١٩٦٦-عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٦٦.
- ابن كثير، ١٩٧٦- إسماعيل بن عمر ابن كثير، استشهاد الحسين، القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٧٦.
- ابن منظور، ٢٠٠٣- جمال الدين محمد بن مُكّرم بن منظور الأنصاري، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٣.
- الأسطة، ١٩٩٩-عادل الأسطة، الصوت والصدى: مظفر النوّاب وحضوره في فلسطين، فلسطين: النصر، ١٩٩٩.
- الآغا، ١٩٩٨-الآغا، يحيى زكريا، إضاءات في الشعر الفلسطيني المعاصر، فلسطين: دار الحكمة، ١٩٩٨.
- البصير، ١٩٤٣-محمّد مهدي البصير، نهضة العراق الأدبيّة في القرن التاسع عشر، بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٤٣.
- البياتي، ١٩٩٥-عبد الوهاب البياتي، الأعمال الشعريّة الكاملة، بيروت: المؤسّسة العربيّة للدراسات، ١٩٩٥.
- تفاحة، ١٩٩٠-أحمد زكي تفاحة، في رحاب ثورة الحسين، بيروت: الشركة العالميّة للكتاب، ١٩٩٠.
- جبران، ١٩٨٩-سليمان جبران، المبنى واللغة في شعر عبد الوهاب البياتي: دراسة أسلوبيّة، عكا: دار الأسوار، ١٩٨٩.
- جبران، ٢٠٠٣-سليمان جبران، مجمع الأضداد: دراسة في سيرة الجواهري وشعره، بيروت: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ٢٠٠٣.
- الجدع، ١٩٨٦-أحمد عبد اللطيف الجدع، بدر شاكر السيّاب: شاعر من العراق، الأردن: دار الضياء، ١٩٨٦.
- جمال الدين، ١٩٩٥-مصطفى جمال الدين، الديوان، بيروت: دار المؤرّخ العربي، ١٩٩٥.
- الجواهري، ١٩٩١-محمّد مهدي الجواهري، ذكرياتي، دمشق: دار الرافدين، ١٩٩١.
- جيوسي، ٢٠٠١-سلمى الخضراء الجيوسي، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة،٢٠٠١.
- حداد، ١٩٩٨-علي حداد، بدر شاكر السيّاب: قراءة أخرى، عمّان: دار أسامة، ١٩٩٨.

- الحصني، ١٩٩٦–عبد القادر الحصني، مظفر النوّاب: شاعر المعارضة السياسيّة قراءة في تجربته الشعريّة، دمشق: المنارة، ١٩٩٦.
- الحلي، ١٩٨٤–حيدر الحلي، ديوان السيد حيدر الحلي، بيروت: مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٨٤.
- الحموي، ١٩٥٧–شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، ١٩٥٧.
- الحيدري، ١٩٩٩–إبراهيم الحيْدَري، تراجيديا كربلاء: سوسيولوجيا الخطاب الشيعي، بيروت: دار الساقي، ١٩٩٩.
- خفاجي، ١٩٨٢–عبد المنعم خفاجي، الأصالة والتجديد في روائع الشعر العربي، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصريّة، ١٩٨٢.
- الخليلي، ١٩٨٧–جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدّسة، بيروت: مؤسّسة الأعلمي، ١٩٨٧.
- دحبور، ١٩٨٣–أحمد دحبور، ديوان أحمد دحبور، بيروت: دار العودة، ١٩٨٣.
- زهدي، ١٩٩٩–زاهد محمد زهدي، الجواهري: صنّاجة الشعر العربي في القرن العشرين، بيروت: دار القلم، ١٩٩٩.
- سعيد الحميد، ١٩٤٩–محمد محيي الدين عبد الحميد، شرح ديوان الشريف الرضيّ، القاهرة: دار إحياء الكتب العربيّة، ١٩٤٩.
- سلوم، ١٩٧١–داود سلّوم، مقالات عن الجواهري وآخرين، النجف: مطابع دار النعمان، ١٩٧١.
- السيوطي، ٢٠٠٣–جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، بيروت: دار الجيل، ٢٠٠٣.
- شُبّر، ١٩٨٨–جواد شُبّر، أدب الطَّفّ أو شعراء الحسين، بيروت: دار المرتضى، ١٩٨٨.
- شرف، ١٩٩١–عبد العزيز شرف، الرؤيا الإبداعية: في شعر عبد الوهاب البياتي، بيروت: دار الجيل، ١٩٩١.
- الطعمة، ١٩٨٨–سلمان هادي الطعمة، كربلاء في الذاكرة، بغداد: مطبعة العاني، ١٩٨٨.
- عزام، ٢٠٠٥–محمد عزام، "قصيدة القناع في الشعر السوري المعاصر". الموقف الأدبي، دمشق: اتّحاد الكتاب العرب، ٤١٢، ٢٠٠٥.
- علوان، د.ت–علي عبّاس علوان، تطوّر الشعر العربي الحديث في العراق، بغداد: دار الشؤون الثقافيّة العامّة، د.ت.
- الفيروزابادي، ١٩٦٣–مرتضى الحسني الفيروزابادي، فضائل الخمسة من الصِحاح الستّة، العراق: دار الكتب الإسلاميّة، ١٩٦٣.

- قباني، ١٩٨٣–نزار قبّاني، الأعمال الشعريّة الكاملة، بيروت: منشورات نزار قباني، ١٩٨٣.
- قباني، د.ت–نزار قبّاني، الأعمال السياسيّة، بيروت: منشورات نزار قبّاني، د.ت.
- قنازع، ١٩٩٢–جورج قنازع، "كربلاء في الأدب الشيعي"، الكرمل، ١٣، ١٩٩٢، ١٧٩–١٩٤.
- الكاظمي، ١٩٦٤–جابر الكاظمي، ديوان الشيخ جابر الكاظمي، بغداد: منشورات المكتبة العلميّة، ١٩٦٤.
- الكَركَي، ١٩٨٩–خالد الكَركي، الرموز التراثيّة العربيّة في الشعر العربي الحديث، بيروت: دار الجيل، ١٩٨٩.
- الكِليدار، د.ت–عبد الجواد الكِليدار، تاريخ كربلاء وحائر الحسين رضي الله عنه، القاهرة: مدبولي الصغير، د.ت.
- المجلسي، ٢٠٠١–محمّد باقر المجلسي، بحار الأنوار: الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ٢٠٠١.
- محُدِّثي، ١٩٩٧–جواد محدّثي، موسوعة عاشوراء. ترجمه عن الفارسيّة خليل زامل العصامي. بيروت: دار الرسول الأكرم ودار المحجَّة البيضاء، ١٩٩٧.
- المصري، ٢٠٠٠–حسين مجيب المصري، كربلاء بين شعراء الشعوب الإسلامية، القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٠.
- نصر الله، ٢٠٠٣–نضال نصر الله، نزار قباني وقصائد كانت ممنوعة: في السياسة والدين والجنس، سوريا: الأوائل، ٢٠٠٣.
- النوّاب، ١٩٧٧–مظفّر النوّاب، وتريات ليليّة، القدس: منشورات صلاح الدين، ١٩٧٧.
- النوّاب، ٢٠٠١–مظفّر النوّاب، الأعمال الشعريّة الكاملة، القاهرة: دار الكتاب الحديث، ٢٠٠١.
- هوّاري، ٢٠٠٤–صلاح الدين الهوّاري، المرأة في شعر نزار قباني، بيروت، دار البحار، ٢٠٠٤.
- هونجمان، ١٩٧٨– E.Honigmann: "Karbala", Encyclopaedia of Islam, Leiden 1978, Vol.IV p.637
- الهيثمي، ١٩٦٥–ابن الحجر الهيثمي، الصواعق المحرِقة: في الردّ على أهل البدع والزندقة، مصر: مكتبة القاهرة، ١٩٦٥.